الفصل الرابع
المنهج الوصفى.. وأنوعه

مقدمة.

مفهوم المنهج الوصفى.

تاريخ ونشأة المنهج الوصفى.

أهداف المنهج الوصفى وخصائصه.

أسس البحوث الوصفية.

أنواع البحوث الوصفية.

معايير اختيار أنواع البحث الوصفى.

خطوات المنهج الوصفى.

مصادر المعلومات فى البحوث الوصفية وكيف يعبر الباحث عن البيانات.

قضايا متعلقة بالبحث الوصفى.

الدراسة الاستطلاعية.. والمنهج الوصفى.

فوائد المنهج الوصفى.

المآخذ التى تؤخذ على المنهج الوصفى.

... عرض لأهم أساليب وأنواع بحوث المنهج الوصفى:

[البحث المسحى ـ البحث الوثائقى ـ البحث الحقلى ـ تحليل المضمون ـ البحث السببى المقارن ـ البحث الارتباطى ـ البحث التتبعى ـ دراسة الحالة ـ دراسات الاتجاه].

المنهج الوصفى وأنواعه
Descriptive Research

مقدمة:

هناك اختلاف كبير بين العلماء فى تحديد مفهوم المنهج الوصفى أشد من اختلافهم فى تحديد مفهوم أى منهج آخر، وذلك بسبب عدم اتفاقهم أساسًا على الهدف الذى يحققه المنهج الوصفى، وهل هو مجرد وصف للظاهرة؟ أم يمكن أن يتجاوز ذلك إلى توضيح العلاقة ومقدارها، ومحاولة اكتشاف أسباب هذه الظاهرة.

وهذا الاختلاف فى تحديد مفهوم المنهج الوصفى أدى إلى اختلاف آخر أكبر منه، وهو اختلاف حول عدد المناهج التى ترتبط بظاهرة معاصرة.

وللخروج من الخلاف وحتى لا يقع الباحث فى حيرة من أمره، يمكننا أن نقول أن كل منهج مرتبط بظاهرة معاصرة بقصد وصفها وتفسيرها يعد منهجًا وصفيًّا بينما المنهج الذى يرتبط بالماضى فهو منهج تاريخى، أما المنهج الذى يرتبط بالتوقع المستقبلى للظاهرة المدروسة فهو منهج تجريبى.

ويعتبر المنهج الوصفى من أكثر المناهج استخدامًا وخاصة فى مجال الأبحاث التربوية والنفسية والاجتماعية والرياضية، ويهتم البحث والوصفى بجمع أوصاف علمية دقيقة للظاهرة المدروسة ووصف الوضع الراهن والمعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات وطرائقها فى النمو والتطور، كما يهدف إلى دراسة العلاقات القائمة بين الظواهر المختلفة.

فحين يريد الباحث دراسة ظاهرة ما، فإن أول خطوة يقوم بها هى وصف الظاهرة التى يريد دراستها وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها. فهو يعتمد أحيانًا على دراسة الواقع ويهتم بوصفه وصفًا دقيقًا ويعبر عنه تعبيرًا كيفيًّا وكميًّا.

ويلعب الوصف دورًا أساسيًّا فى المعرفة فهو يصف الظاهرة من خلال الإجابة عن السؤال الأساسى فى العلم: ماذا؟ وينطوى ذلك على تحليل بنية الظاهرة وبيان العلاقة بين مكوناتها. أى أن الوصف بهذا المعنى يهتم أساسًا بالوحدات أو الشروط أو العلاقات وقد يشمل ذلك الآراء حول الظاهرة والاتجاهات والعمليات ومعنى ذلك أن المنهج الوصفى يشمل أحيانًا كيفية عمل الظاهرة.

وقد ابتكر علماء النفس والتربية طرق لجمع البيانات بدقة للظواهر البحثية المتنوعة من ذلك الملاحظة والاستبيان والمقابلات والاختبارات والمقاييس المتنوعة بما جعل البحوث الوصفية تزود المعرفة بثروة هائلة من الحقائق التفصيلية.

ويعتر المنهج الوصفى أحد مناهج البحث فى التربية وعلم النفس الشائعة التى اشتغل بها العديد من الباحثين. فهو يسعى إلى تحديد الوضع الحالى لظاهرة ما، ومن ثم يعمل على وصفها وبالتالى فهو يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد فى الواقع، ويهتم بوصفها وصفًا دقيقًا.

وتبرز أهمية الدراسات الوصفية فى البحث كونه يعتبر ركنًا أساسيًّا من أركان البحث العلمى النفسى والتربوى، ويعتبر الأسلوب الوحيد فى نظر العديد من الباحثين لدراسة الكثير من المجالات الإنسانية.

والأسلوب الوصفى يعتمد على دراسة الواقع ويهتم بوصفها وصفًا دقيقًا، ويعبر عنها تعبيرًا كميًّا أو تعبيرًا كيفيًّا، فالتعبير الكمى يعطينا وصفا رقميًّا يوضح مقدار الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى، أما التعبير الكيفى فيصف الظاهرة ويوضح خصائصها.

وتبرز أهمية الأسلوب الوصفى فى كونه الأسلوب الوحيد الممكن لدراسة بعض الموضوعات الإنسانية، فإذا أراد باحث أن يدرس مشكلات تتعلق بدراسة سلوك الأطفال الجانحين أو سلوك الأطفال المحرومين من العيش فى أسرة عادية فلا يتمكن الباحث من إجراء تجارب فى مثل هذه الموضوعات، ليس أمامه إلا اختيار عينات من الأطفال ويقوم بدراسة حالتهم مستخدمًا الأسلوب الوصفى، وبذلك يعتبر الأسلوب الوصفى أسلوبًا أساسيًّا لا يمكن الاستغناء عنه فى دراسة مثل هذه الحالات.

ولا يقتصر الأسلوب الوصفى على المجالات الإنسانية بل يمكن استخدامه فى مجال الظواهر الطبيعية المختلفة مثل وصف الظواهر الفلكية والفيزيائية والكيميائية والبيولوجية المختلفة.

وهنا نؤكد أن مجرد وصف ما هو كائن لا يشكل جوهر عملية البحث الوصفى، فعلى الرغم من أن جمع البيانات ووصف الظروف أو الممارسات الشائعة خطوات ضرورية فى البحث، إلا أن عملية البحث لا تكتمل حتى تنظم هذه البيانات وتحلل وتستخرج منها الاستنتاجات ذات الدلالة والمغزى بالنسبة للمشكلة المطروحة.

وفى الوقت الذى يخبرنا فيه البحث التاريخى عما جرى فى الماضى، يخبرنا البحث الوصفى عما هو موجود حاليًا. ويصمم البحث الوصفى لتحديد ووصف الحقائق المتعلقة بالموقف الراهن، ولتوضيح جوانب الأمر الواقع بمسحها ووصفها وصفًا تفسيريًّا بدلالة الحقائق المتوافرة. لكن البحث الوصفى لا يحكم على الواقع حكمًا قيميًّا من حيث كونه واقعًا جيدًا أو رديئًا، ولا تتيح الدراسات الوصفية فى كثير من الأحيان المجال لإصدار مثل هذه الأحكام.

فإذا استطاع البحث مثلًا أن يخبرنا عن اتجاهات الطلبة وأولياء أمورهم، نحو الرياضيات المعاصرة، فهذا لا يكون بالضرورة حكمًا على أفضلية الرياضيات المعاصرة على التقليدية.

ويصعب إثبات العلاقات السببية فى البحث الوصفى. ويقوم الوقت الذى تجرى فيه الدراسة بدور مهم فى تفسير البيانات، كما يقوم حجم العينة بدور مهم أيضًا؛ ولذلك يلزم أن تكون العينة ممثلة لمجتمع الدراسة حتى تكون نتائج البحث صادقة.

والبحث الوصفى أكثر من مجرد بيانات. ولا تعد الدراسة دراسة بحق ما لم تناقش البيانات إلى درجة تمتد إلى مستوى التفسير الملائم.

ويتفاوت عدد الأفراد الذين تتناولهم الدراسات الوصفية من فرد واحد أو عدد قليل من الأفراد فى دراسة الحالة، إلى الدراسات المسحية التى تشمل عددًا كبيرًا من الأفراد، إلى جميع أفراد المجتمع الأصلى فى المسح الشامل. وتتفاوت بالتالى طرق جمع البيانات من المقابلة الفردية والملاحظة المباشرة، التى يستطيع الباحث التأكد من صدقها وتعديلها عند الحاجة فى أثناء استعمالها، إلى الاختبارات والمقاييس والاستبيانات الجمعية، التى تعتمد فى صدق بياناتها على عوامل كثيرة ترتبط بأفراد الدراسة وأهوائهم وجديتهم فى تقديم البيانات. ومع ذلك تبقى الدراسات الوصفية أكثر طرق البحث استعمالًا فى المجال النفسى والتربوى؛ لأن كثيرًا من المواقف التربوية لا يمكن دراستها إلا بهذه الطريقة. ولا تعدو جوانب النقد التى توجه إلى الدراسات الوصفية، أن تكون تلك الجوانب الموجهة إلى الدراسات فى مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية عمومًا، من حيث الفرق بين درجة تطبيق المنهج العلمى على هذه الدراسات وتطبيقه فى المجالات الطبيعية.

وبناء على هذا يصبح المنهج الوصفى أشبه ما يكون بإطار عام تقع تحته كل البحوث التى:

- تصف الظاهرة فقط (البحث المسحى).
- توضح العلاقة ومقدارها (البحث الارتباطى).

ـ تهدف لاكتشاف الأسباب الكامنة وراء سلوك معين من معطيات سابقة (البحث السببى المقارن).

سواء أجريت فى الحقل والميدان بواسطة:

ـ الملاحظة المباشرة ومعايشة الباحث الفعلية (البحث الحقلى).

ـ استجواب الباحث لمجتمع أو لعينة ممثلة له (البحث المسحى).

أو فى المكتبة بواسطة:

ـ دراسة الوثائق دراسة كيفية (البحث الوثائقى).

ـ دراسة الوثائق دراسة كمية (تحليل المحتوى).

وسواء أجريت فى:

مرة واحدة (البحث المستعرض).

أكثر من مرة (البحث التتبعى).

وواضح أن هناك تداخلًا كبيرًا بين هذه التقسيمات، فأى نوع يمكن أن يجرى وحده أو مع غيره، وكذلك يمكن أن يجرى فى المكتبة أو فى الحقل لمرة واحدة أو أكثر من مرة.

فمثلًا قد يكون البحث لتحقيق هدف توضيح العلاقة (بحثًا ارتباطيًّا)، ولكنه يجرى فى المكتبة (بحثًا وثائقيًّا)، أو بواسطة استجواب الباحث لمجتمع البحث أو عينة ممثلة له (بحثًا مسحيًّا)، وقد يجرى مرة واحدة (بحثًا مستعرضًا)، أو يجرى أكثر من مرة (بحثًا تتبعيًّا). إلا أن كل واحد من هذه التفريعات له خصائص محددة تتطلب أن يوضح بشكل مستقل.

مفهوم المنهج الوصفى:

تهدف الأبحاث التى تعتمد على المنهج الوصفى إلى وصف الأشياء المادية والمعنوية أو أى شىء له آثار ظاهرة.

فمن الضرورى أن يتوفر لدى الباحث وصف دقيق لما يقوم بدراسته من ظاهرات ليتمكن من حل المشكلات التى اقتضت دراسة هذه الظاهرات. فلن يستطيع باحث مثلًا أن يدرس مشكلة تتصل بالتعليم ما لم يتوافر لديه أوصاف لهذه الظاهرة.

ويهتم المنهج الوصفى بوصف ما هو كائن وتفسيره، كما يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التى توجد بين العلاقات ويحدد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند كلٍّ من الأفراد والجماعات، وطرائقها فى النمو والتطور.

ولا يقتصر البحث الوصفى على جمع البيانات وتبويبها، إنما يتعداها إلى تفسير هذه البيانات حتى تنتظم هذه البيانات وتحليلها وتستخرج منها الاستنتاجات ذات الدلالة والمغزى بالنسبة للمشكلة المطروحة للبحث.

وهو عملية البحث والتقصى حول الظواهر التعليمية أو النفسية كما هى قائمة فى الحاضر، ووصفها وصفًا دقيقًا وتشخيصها وتحليلها، وتفسيرها، بهدف اكتشاف العلاقات بين عناصرها أو بينها وبين الظواهر التعليمية والنفسية الأخرى، والتوصل من خلال ذلك إلى تعليمات ذات معنى بالنسبة لها.

ويلاحظ أن الوصف المقصود من هذه البحوث ليس مجرد تقديم بعض المعلومات عن الظواهر أو المشكلات، ولكن يتعداه إلى ما يسمى بالوصف العلمى الذى يتحرى الدقة الشديدة والفحص والتمحيص فى التعرف على خصائص الظواهر أو المشكلات التى ندرسها من جميع جوانبها وتقديم الحلول لها، ووضع بعض التنبؤات الخاصة بشكلها وحجمها فى المستقبل.

ويرى علماء النفس والاجتماع أن الدراسة الوصفية هى التى تستهدف وصف الظاهرة سواء كانت فى صورة كيفية أو كمية. وبهذا فإن البعض قد يرى أن

الدراسة الوصفية تشمل فيما ينطوى عليه من معان تلك العمليات الإحصائية، والتى تقوم بها بعض الأجهزة سواء كانت من مراكز الإحصاء أو الحاسب الآلى أو غيرها.

بل إن البعض يعتبر أن كلمة (بحث وصفى) مرادفة لكلمة (مسح وصفى) ويعتبر كلمة المسح مساوية فى المعنى لكلمة بحث، على الرغم من اختلافهما من حيث اللفظ الأجنبى. فالمسح (Survey) والوصف (Description). وأيضًا بسبب اهتمامها بوصف الأوضاع والأحوال القائمة فى فترة معينة، فى مجتمع ما، أو لظاهرة ما. ويسميها آخرون أيضًا الدراسة المعيارية (Normative) لأنها تهتم بتحديد المعايير والقواعد السائدة بين مفردات مجتمع الظاهرة محل الدراسة.

وهو البحث عن الوضع القائم وعما هو موجود، ليدون ويسجل بدقة متناهية، وبصدق ونزاهة وأمانة بحثية، وتنظيم وترتيب الحقائق والخصائص والسلوكيات التى يدرسها بشكل واضح محدد، يسهل فيما بعد أى نوع من الإجراءات البحثية قد تتخذ بشأنها، كعملية التحليل والتفسير والتعليل لها.

وطالما أن كلمة منهج قد تجاورت مع كلمة وصف فإن هذا يحمل فى معناه أن الوصف المقصور هنا ليس مجرد بيان لملامح الظاهرة أو المشكلة التى يتناولها الباحث بالدراسة فى بحثه، وإنما يتعدى الأمر هذا إلى التعمق فى دراسة المشكلة أو الظاهرة من جميع جوانبها ومعرفة أسبابها الحقيقية. ليس هذا فحسب، بل كذلك تقديم الحلول لتلك المشكلة ووضع بعض التنبؤات الخاصة بشكل وحجم تلك المشكلة أو الظاهرة فى المستقبل.

وبالتالى فإن البحث الوصفى يمثل تشخيصًا علميًّا للمشكلات أو الظواهر بقدر ما يتوفر من أدوات موضوعية، ثم يعبر عن هذا التشخيص برموز لغوية ورياضية مضبوطة وفق تنظيم محكم.

يقوم البحث الوصفى بوصف ما هو كائن، وتفسيره. وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التى توجد بين الوقائع، كما يهتم أيضًا بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات وطرائقها فى النمو والتطور.

والمنهج الوصفى هو الذى يقوم بتحديد الوضع الحالى للأشياء موضوع الدراسة. ومن ثم العمل على وصفها، وبعبارة أخرى، فهو يسعى إلى جمع البيانات إما لاختبار صحة الفرضيات التى تصف الوضع الحالى للفرد موضوع الدراسة أو للاجابة عن الأسئلة المتصلة بذلك.

ويعد المنهج الوصفى المرحلة الأولى من مراحل تطور أكثر العلوم، ولا يعنى هذا أن هذه الطريقة فى دراسة العلوم قد قل شأنها اليوم؛ فأكثر الدراسات الوصفية لا زالت تحتل منزلة رفيعة فى الدراسات الحديثة، وإن كانت أساليبها وأدواتها قد شهدت تطورًا ملحوظًا مع تقدم الزمن وتتابع العصور.

وهو عبارة عن دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو الأوضاع، وهو ـ بعبارة أخرى ـ التحديد الدقيق للحالة الراهنة.

وباختصار هو عبارة عن جمع بيانات وفيرة عن المشكلة، ووصف العوامل المؤثرة والظروف المحيطة بالمشكلة، وفحص العلاقات الارتباطية بين المتغيرات التى لها علاقة بالظاهرة أو الحدث.

ويقوم على دراسة الظواهر كما توجد فى الواقع، والتعبير عنه بشكل كمى، يوضح مقدار الظاهرة، وحجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى، أو بشكل كيفى حيث يصف الظاهرة ويوضح خصائصها. كما أنه يقوم على وصف ما هو كائن وتفسيره، وتحديد الظروف والعلاقات التى توجد بين الوقائع، كما يهتم أيضًا بتحديد الممارسات الشائعة والسائدة، والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات، وطرائقها فى النمو والتطور.

تاريخ ونشأة المنهج الوصفى :.

بدأ هذا الأسلوب فى البحث فى نهاية القرن الثامن عشر حيث قامت دراسات لوصف حالة السجون الإنجليزية ومقارنتها بالسجون الفرنسية والألمانية، كما نشطت هذه الدراسات فى القرن التاسع عشر حيث ركزت الدراسات الاجتماعية التى قام بها فردريك لوبلاى F.play (١٨٠٦ ـ ١٨٨٢) بإجراء دراسات تصف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة العاملة فى فرنسا، مستخدمًا فى ذلك أدوات بحث خاصة كالاستبيان والمقابلات. ولكن التطور المهم الذى ساهم فى تطوير الأسلوب الوصفى فى البحث كان فى القرن العشرين بعد اكتشاف الآلات الحاسبة التى تستطيع تصنيف البيانات والأرقام وتحديد العلاقات بسرعة هائلة.

وتحديد طبيعة الظروف والممارسات والاتجاهات السائدة ـ أى البحث عن أوصاف دقيقة للأنشطة والأشياء والعمليات والأشخاص. إنهم يصورون الوضع الراهن فى بعض الأحيان ويحددون العلاقات التى توجد بين الظاهرات أو التيارات التى تبدو فى عملية نمو، ومن حين لآخر يحاولون وضع تنبؤات عن الأحداث المقبلة.

وتزودنا البحوث الوصفية فى المجالات الاجتماعية والتربوية والنفسية بمعلومات حقيقية عن الوضع الراهن للظواهر المختلفة التى يتأثر بها التربويون فى عملهم. ومثل هذه المعلومات ذات قيمة عملية تؤيد ممارسات قائمة أو ترشد إلى سبيل تغييرها نحو ما ينبغى أن يكون. وهذا هو الهدف التطبيقى. أما ثانى الهدفين فهو الهدف العلمى حيث تقدم هذه الدراسات من الحقائق والتعميمات ما يضيف إلى رصيدنا من المعارف مما يساعد على فهم الظواهر والتنبؤ بحدوثها.

ومما سبق يتضح لنا أن المنهج الوصفى منذ نشأته كان مرتبطًا بدراسة المشكلات المتعلقة بالمجالات الإنسانية والحقيقة أنه ما زال الأسلوب الأكثر استخدامًا فى

الدراسات الإنسانية وتكمن أهمية هذا المنهج فى كونه الأسلوب الوحيد الممكن لدراسة بعض الموضوعات الإنسانية، إلا أن استخداماته لا تقتصر على المجالات الإنسانية بل تتعداها لمجالات دراسة الظاهرات الطبيعية ـ كما ذكرنا سلفًا.

أهداف المنهج الوصفى:

ـ جمع بيانات حقيقية مفصلة لظاهرة أو مشكلة موجودة فعلًا.

ـ تحديد المشكلات الموجودة وتوضيحها.

ـ إجراء مقارنات لبعض الظواهر أو المشكلات وتقويمها وإيجاد العلاقات بينها.

خصائص الأسلوب الوصفى:

ـ يقدم معلومات عن واقع لظاهرة.

ـ يوضح العلاقات بين الظواهر المختلفة والظاهرة موضوع الدراسة.

ـ يساعد فى التنبؤ بمستقبل الظاهرة نفسها.

أسس البحوث الوصفية:

يرى الكثير من التربويين أن البحوث الوصفية لا بد أن ترتكز على خمسة أسس رئيسة تتمثل فى الآتى:

ـ فى البحوث الوصفية: يمكن الاستعانة بمختلف الأدوات المختلفة للحصول على البيانات بشكل دقيق وواضح كاستخدام الملاحظة والمقابلة والاستبيان وتحليل الوثائق والسجلات سواء كان ذلك بصورة منفردة، أو من خلال استخدام أدوات أخرى أو بصورة مجتمعة يمكن خلالها الجمع بين استخدام أكثر من أداة.

ـ البحوث الوصفية: على درجة من الاختلاف وفقًا لخصائص الظواهر موضوع البحث. فبينما يسعى البعض منها إلى مجرد وصف الظاهرة وصفًا كميًّا أو كيفيًّا دون دراسة الأسباب التى أدت إلى ظهور المشكلة، يقوم البعض الآخر بالتعرف على

الأسباب المؤدية للظاهرة، ويلجأ البعض الثالث إلى البحث عما يمكن عمله من أجل إحداث تعديل فى موقف عينة البحث.

ـ تعتمد الدراسات الوصفية على اختيار عينات ممثلة للمجتمع الذى تؤخذ منه وذلك توفيرًا للجهد والوقت ولغيرها من تكاليف البحث.

ـ لا بد من اصطناع التجريد خلال البحوث الوصفية حتى يمكن تمييز سمات الظاهرة موضوع البحث وخصائصها. خاصة وأن الظواهر فى مجال العلوم الاجتماعية تتسم بالتداخل والتعقيد الشديدين، الأمر الذى لا يمكن الباحثين من مشاهدة كل تلك الظواهر فى مختلف حالاتها الطبيعية.

ـ ولما كان التعميم مطلبًا ضروريًّا للدراسات الوصفية حتى يمكن من خلاله استخلاص أحكام تصدق على مختلف الفئات المكونة للظاهرة موضوع البحث، فإنه لا بد من تصنيف الأشياء أو الوقائع على أساس معيار محدد باعتباره السبيل الوحيد لاستخلاص النتائج منها، ومن ثم التعميم.

أنواع البحوث الوصفية:

بالرغم من عدم اتفاق الباحثين على أشكال ونماذج محددة للدراسات الوصفية، إلا أنه يمكن تحديد بعض الأنماط التالية للدراسات الوصفية:

البحث الوثائقى: Historical/ Documental Research

يهدف لوصف واقع الظاهرة المدروسة بواسطة الأدلة والبراهين التى تجيب عن أسئلة البحث من المستندات والوثائق المنشورة وغير المنشورة.

البحث الحقلى: Field Research

يهدف لوصف واقع الظاهرة المراد دراستها بواسطة المعايشة الفعلية للظاهرة من أجل التعمق فى معرفتها وإدراك خصائصها.

تحليل المحتوى: Content Analysis

يهدف لوصف واقع الظاهرة بواسطة الرصد التكرارى لظهور الظاهرة المدروسة سواء أكانت كلمة أو موضوع أو شخصية أو مفردة أو وحدة قياس أو زمن.

البحث السببى المقارن: Comparative Research

يهدف لاستنتاج الأسباب الكامنة وراء سلوك معين من خلال معطيات سابقة.

البحث الارتباطى: Correlational Research

يهدف لمعرفة ما إذا كان يوجد ثمة علاقة بين متغيرين أو أكثر ومن ثم إظهار مقدارها.

البحث التتبعى:

يهدف لمعرفة مقدار النمو والتغير الذى يطرأ على استجابة أفراد العينة بفعل عامل الزمن.

دراسة الحالة: Case Study

وهو يعتمد على الملاحظة التمهيدية والإفادة من النظريات فى مجال التطبيق على أساس اختيار وحدة إدارية واجتماعية واحدة كأن تكون مدرسة أو مكتبة واحدة أو قسمًا واحدًا من أقسامها، أو فردًا واحدًا أو جماعة واحدة من الأشخاص وجمع المعلومات التفصيلية عن كل جوانب أنشطتها وصفاتها.

البحث المسحى: Survey Research

يهدف لوصف واقع الظاهرة المراد دراستها بواسطة استجواب جميع أفراد مجتمع البحث أو عينة كبيرة منهم بصورة مباشرة (مقابلة) أو غير مباشرة (استبيان).

ـ ويوضح الشكل التالى الترتيب الذى سوف يتم على أساسه عرض أنواع البحوث الوصفية خلال هذا الفصل.

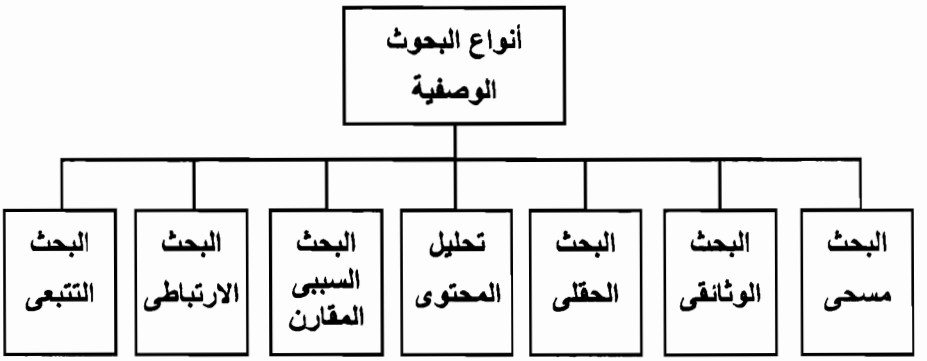

معايير اختيار أنواع البحث الوصفى:

إذا كان البحث:

ـ يصف الظاهرة فقط (مسحى).

ـ يوضح العلاقة ومقدارها (الارتباطى).

ـ اكتشاف الأسباب الكامنة وراء سلوك معين من معطيات سابقة (السببى المقارن).

ـ أجرى فى الحقل والميدان بواسطة الملاحظة المباشرة ومعايشة الباحث الفعلية (الحقلى) استجواب الباحث لمجتمع البحث أو لعينة ممثلة له (المسحى).

ـ أجرى فى المكتبة بواسطة دراسة الوثائق دراسة كيفية (وثائق) ـ دراسة الوثائق دراسة كمية (تحليل محتوى) ـ أجرى مرة واحدة (مستعرض) ـ أجرى أكثر من مرة (تتبعى).

ـ قد يضطر الباحث لاختيار نوعين معًا عندما يكون له أكثر من هدف.

ـ لا بد للباحث أن يذكر منهج بحثه ثم يسجل بين قوسين نوع البحث مثل: منهج البحث الوصفى (الارتباطى).

خطوات المنهج الوصفى:

يقوم الباحث الذى يتتبع المنهج الوصفى بإنجاز مرحلتين: الأولى هى مرحلة الاستطلاع والثانية هى مرحلة الوصف الموضوعى.

وأهم الخطوات هى:

ـ الشعور بمشكلة البحث وجمع معلومات وبيانات تساعد على تحديدها.

ـ وضع فرض أو مجموعة من الفروض كحلول مبدئية للمشكلة يتجه بموجبها الباحث للوصول إلى الحل المطلوب.

ـ وضع الافتراضات أو المسلمات التى سيبنى عليها الباحث دراسته.

ـ اختيار العينة التى ستجرى عليها الدراسة مع توضيح حجم هذه العينة وأسلوب اختيارها.

ـ يختار الباحث أدوات البحث التى سيستخدمها فى الحصول على المعلومات كالاستبيان أو المقابلة أو الاختيار أو الملاحظة، وذلك وفقًا لطبيعة مشكلة البحث وفروضه. ثم يقوم بتقنين هذه الأدوات وحساب صدقها وثباتها.

ـ القيام بجمع المعلومات المطلوبة بطريقة دقيقة ومنظمة.

ـ الوصول إلى النتائج وتنظيمها وتصنيفها.

ـ تحليل النتائج وتفسيرها واستخلاص التعميمات والاستنتاجات منها.

معالجة النتائج فى المنهج الوصفى:

إن النتائج التى يحصل عليها الباحث يمكن أن يعرضها عرضًا كيفيًّا أو عرضًا كميًّا، وقد يخلط بين الوصف الكمى والوصف الكيفى معًا، إن ذلك يتوقف على طبيعة مشكلة البحث، فإذا استهدف الباحث دراسة مهام المعلم فإنه يعرض نتائجه بشكل كيفى أو بعبارات لفظية تصف المهام والأعمال التى يقوم بها المعلم.

وتوجد أنواع أخرى من الدراسات والموضوعات يتطلب عرض نتائجها استخدام الأسلوب الرقمى أو الكمى، والتعبير عن النتائج بأرقام أو رسوم بيانية، فحين يدرس الباحث مشكلة ما مثل أعداد المعلمين من التخصصات المختلفة التى

تحتاج إليها وزارة التربية والتعليم عام ٢٠٠٩ ـ ٢٠١٠م. فإنه يحتاج إلى عرض النتائج بأسلوب رقمى يعبر عن كمية هذه الظواهر؛ لأن أسلوب البحث يتطلب إجراء عملية العد وحساب التكرارات والنسب المئوية وغير ذلك من المفاهيم الإحصائية، فالأرقام تعطى وصفًا دقيقًا لظاهرة خاصة وأنها تستند إلى قاعدة محددة من القياس والإحصاء.

مصادر المعلومات فى البحوث الوصفية وكيف يعبر الباحث عن البيانات:

إن مصدر المعلومات فى البحث الوصفى هو مجتمع الدراسة بوضعه الراهن وبالتغيرات التى تطرأ عليه. وعندما نقول إن مصدر المعلومات فى البحوث الوصفية هو مجتمع الدراسة فنحن لا نقصد المجتمع الإنسانى الإحصائى.. قد يتكون من المراهقين إذا كانت الدراسة تتعلق بأبناء المرحلة الإعدادية والثانوية، وقد تتألف من كتب اللغة، إذا كانت الدراسة لغوية.

والمجتمع المدروس قد يكون واسع النطاق أحيانًا بشكل يحول قطعيًّا دون الإحاطة بكل مفرداته، أو يكون كبيرًا بحيث يكون تناوله بالدراسة مكلفًا من حيث الوقت والمال، فيضطر الباحث إلى أخذ عينة ممثلة لهذا المجتمع. ويكون هذا التعميم مقبولًا بمقدار ما ينجح الباحث فى اختيار العينة.

أما كيف يعبر الباحث عن المعلومات والبيانات التى يجمعها وفقًا للأسلوب الوصفى، فإن ذلك يتم فى معظم الحالات على أساس التعبير الرقمى. ويمتاز الأسلوب الرقمى فى التعبير بالدقة وبإمكانية إخضاعه للعمليات الحسابية والإجراءات الإحصائية، غير أننا فى حالات كثيرة لا نجد سبيلًا إلى التعبير الكمى أو الرقمى فنعبر عن البيانات بالأسلوب الكيفى.

مثال: لو أردنا بيان وظائف مدير المدرسة أو التمييز بين خصائص المعلم المتميز والمعلم غير المتميز فذلك لا يتحقق إلا من خلال الألفاظ التى تكشف عما نريد.

قضايا متعلقة بالبحث الوصفى:

هل مصدر المعلومات المجتمع الأصلى أم عينة منه؟

مصدر المعلومات فى البحث الوصفى هو الواقع نفسه فحين يريد الباحث وصف ظاهرة ما كالهجرة أو الزواج فإن المهاجرين أو المتزوجين هم مصدر المعلومات، فهل يدرس الباحث المهاجرين أو المتزوجين جميعًا أم يختار جزء منهم؟

يميل بعض الباحثين إلى دراسة المجتمع الأصلى كله إذا كان المجتمع صغيرًا، فالباحث الذى يريد أن يدرس رواتب العمال فى مصنع فإن عليه أن يجمع معلومات عن كل عامل فيه، وفى مثل هذه الحالة تكون النتائج صادقة بالنسبة إلى عمال المصنع ذاتهم، ولا يجوز تعميم هذه النتائج على عمال فى مصانع أخرى.

وهناك حالات لا يستطيع الباحث فيه دراسة المجتمع الأصلى كله؛ لأن هذا المجتمع واسع، ومثل هذه الدراسة تتطلب جهدًا ووقتًا، فإذا أردنا أن ندرس مشكلات الطلاب فى المرحلة الثانوية فإننا لا نستطيع أن ندرس المجتمع الأصلى كله وهو جميع طلاب المدارس الثانوية، ولذلك يميل الباحثون فى مثل هذه الدراسات إلى اختيار عينة صغيرة من المجتمع الأصلى بشرط أن تكون هذه العينة ممثلة لخصائص المجتمع الأصلى كله، وفى مثل هذه الحالة يمكن تعميم النتائج التى حصلنا عليها من دراسة العينة على كل أفراد المجتمع الأصلى؛ لأن العينة ممثلة، وتبدو الصعوبة فى مرحلة اختيار العينة حيث إن اختيار العينة الممثلة يتطلب جهدًا ووعيًا ودقة، فهى من أكثر عمليات البحث صعوبة.

إن النتائج التى يحصل عليها الباحث يمكن أن يعرضها عرضًا كميًّا أو كيفيًّا، أو يخلط بين الوصف الكمى والوصف الكيفى معًا، إن ذلك يتوقف على طبيعة مشكلة البحث.

فإذا استهدف البحث دراسة مهام المهندس أو الطبيب فإنه يعرض نتائجه بشكل كيفى أو بعبارة لفظية تصف المهام والأعمال كأن يقول:

يقوم المهندس بالمهام التالية:

أ ـ تخطيط الموقع.

ب ـ حساب الموقع.

ج ـ الرسم... إلخ.

أو حين يقوم الباحث بدراسة مشكلات طلاب المرحلة الثانوية فإنه يعرض نتائجه كما يلى:

أ ـ مشكلات نفسية.

ب ـ مشكلات مدرسية.

ج ـ مشكلات أسرية... إلخ.

مثل هذه النتائج تزود القارئ بأوصاف لفظية مفيدة لكنها لا تمكن القارئ من فهم هذا الترتيب وما الفرق بين درجة المشكلات، كما لا يوجد هناك اتفاق على معان محددة للنتائج الكيفية، فإذا قال الباحث: إن المشكلات الأسرية حادة جدًّا، فإنه قد يفهم من ذلك بأنها خطيرة وقد يفهم شخص آخر بأنها غير قابلة للعلاج...

مع ذلك يبقى عرض النتائج بهذا الأسلوب مفيدًا؛ لأنها تعطى آفاق جديدة لإجراء أبحاث أخرى متصلة بموضوع البحث.

وهناك أنواع من الدراسات يتطلب عرض نتائجها استخدام الأسلوب الرقمى أو الكمى، فحين يدرس الباحث تصنيف المعلمين حسب مؤهلاتهم وخبراتهم فإنه يحتاج إلى عرض النتائج بأسلوب رقمى يعبر عن كمية هذه الظاهرة؛ لأن أسلوب البحث يتطلب إجراء عملية العد وحساب التكرارات وغير ذلك من المفاهيم الإحصائية فالأرقام تعطى وصفًا دقيقًا للظاهرة.

إن طبيعة الموضوع هو الذى يحدد الأسلوب المناسب للبحث لعرض النتائج، وبشكل عام يمكن القول: إن الظواهر الطبيعية تخضع للقياس والتعبيرات الكمية الرقمية بشكل يفوق الظواهر الاجتماعية للقياس والعد.

هل يساعد المنهج الوصفى فى حل المشكلات التربوية والنفسية؟

عند تحديد مشكلة معينة يحتاج الفرد إلى عدد من البيانات التى يمكن جمعها عن طريق المنهج الوصفى وتنقسم هذه البيانات إلى ثلاثة أنواع هى:

النوع الأول: ويقوم على الظروف الحاضرة، أين توجد الآن؟ ومن أين نبدأ؟ وقد تجمع هذه البيانات من خلال الوصف المنظم والتحليل المنسق لجميع الجوانب ذات الأهمية فى الموقف الحاضر.

النوع الثانى: يتضمن من البيانات ما قد نحتاج إليه، ويحدد الاتجاه الذى نتخذه، ولكى يتحقق هذا لا بد من تحديد أفضل الظروف والمناسبات المرغوب فيها ويساعد فى توضيح الأهداف المراد تحقيقها دراسة ما نعتقد أننا فى حاجة إليه، والتعرف على ما يعتبره الخبراء مرغوبًا فيه، ودراسة ظروف وممارسات معينة فى مجتمعات أخرى للاستفادة منها بما يتلاءم والظروف الخاصة بمجتمعاتنا.

النوع الثالث: يتضمن بيانات عن طريق الوصول إلى الهدف، والتحليل الذى يقوم به الباحث وخبرات الآخرين الذين واجهوا مواقف مماثلة، والاستفادة من آراء الخبراء عن أفضل الطرق التى توصل إلى الهدف.

الدراسة الاستطلاعية.. والمنهج الوصفى:

هدف الدراسة الاستطلاعية:

قبل أن يتخذ الباحث قرارًا نهائيًّا باختيار مشكلة بحثه عليه أن يقوم بدراسة استطلاعية، يتعرف من خلالها على طبيعة الظاهرة والبيانات المتاحة عنها، والتى تحقق وظائف مهمة فيما يتعلق بتعريف الظاهرة والتعريف بها، وتوفير فرص الدراسة العلمية الموضوعية لها، بصورة أعمق وأشمل مستقبلًا.

أهمية الدراسات الاستطلاعية:

ـ الوقوف على الأبعاد والقضايا التى يمكن أن تصاغ منها الفروض الضرورية لتفسير الظاهرة، وتوضيح الإطار التصورى والفكرى لها، بما يتضمنه من مفاهيم.

ـ زيادة درجة التآلف بين الباحث والظاهرة موضوع الدراسة.

ـ تمكين الباحث من وجهات نظر سليمة تمده بها، وتمكنه من تحديد المجالات البشرية والزمنية والجغرافية للظاهرة فى البحوث اللاحقة.

ـ وقوف الباحث على الأدوات الضرورية اللازمة لجمع البيانات عن الظاهرة فى حالة دراستها بصيغة وصفية أو تجريبية.

ولهذا نجد أن الدراسة الاستطلاعية تحدد للباحث الإمكانات الفنية والبشرية والمالية المطلوبة لدراسة أوسع، وتساعد على وضع صياغة أكثر دقة وموضوعية لمشكلة البحث فضلًا عن أن مرونة هذا النوع من الأهداف والدراسات المتصلة بها، تجعلها ـ غالبًا ـ بداية لمرحلة أكثر عمقًا وشمولًا.

احتياجات الدراسة الاستطلاعية:

تحتاج الدراسة الاستطلاعية إلى:

ـ الاطلاع الواسع على البحوث السابقة فى الميدان الذى يعتزم الباحث الدخول فيه، وفى الميادين التى لها صلة بالمشكلة محل الدراسة.

ـ الرجوع إلى المختصين فى الميدان العلمى الذى يتصل بالمشكلة كمراجع حية لها وجهة نظرها الجديرة بالاحترام.

ـ الرجوع إلى ذوى الخبرة العلمية بموضوع البحث، أو المهتمين بدراسته من الحقل الطبيعى.

ـ تحليل بعض الحالات المثيرة للوعى العلمى لدى الباحث.

ولعل المطلب الأخير يعتبر أهم ما تحتاج إليه الدراسات الاستطلاعية، حيث

تزيد من تعميق وعى الباحث وترسيخه فى جوانب الوقوف على المشكلة، ظواهرها وأسبابها وجوانبها وعناصرها وأبعادها.

ـ وبالإضافة إلى الاحتياجات السابقة فإن الدراسة الاستطلاعية تحتاج إلى التعرف على الإطار الجغرافى والبيئى للظاهرة، سواء ما يتعلق بالبيئة الداخلية للمنظمة وتأثيرها بالبيئة الخارجية، أو ما يتعلق بالبيئة الخارجية وتأثيرها على البيئة الداخلية، إلى غير ذلك من المعلومات الضرورية عن كل ما يحيط بالظاهرة، ومن توضيح تصوراته ووجهات نظره نحوها.

مميزات الدراسة الاستطلاعية:

تتميز الدراسة الاستطلاعية بخصائص هى:

ـ المرونة العالية، حيث يستطيع الباحث فى محاولته للحصول على البيانات وأكبر قدر من المعلومات، أن يستخدم المقابلة مع الحالات المثيرة للوعى والانتباه، والمقابلة هنا عبارة عن أسئلة مفتوحة، أى لا تحدد نوع ولا كمية المعلومات تحديدًا شديدًا أو مقيدًا. وقد يثير الباحث المناقشات، ويترك للحالة فرصة التعبير عن نفسها بحرية وبشكل مفتوح. كما أن الباحث قد يستخدم الملاحظات، وهو أيضًا فى هذه الحالة لا يتحدد بإطار دقيق بل يلاحظ معظم الظواهر والتصرفات ويقوم بتسجيلها.

ـ البعد عن الاختبار، فالباحث لا يختبر فروضًا وإنما يحاول التعرف على أبعاد المواقف المختلفة محل الدراسة، دون محاولة منه لاختيار ما ينطلق منه من فروض يحملها فى ذهنه؛ لأنه غالبًا يكون لديه تصورات معينة وفروضًا أولية تحكم فكرة ينطلق منها، إلا أنه لا يحاول اختبارها بقدر ما يحاول التعرف على الواقع بكل ما فيه.

ـ الدقة والاهتمام والتنظيم الجيد: فالباحث فى أثناء إجرائه لبحثه الاستطلاعى ليس مجرد جامع معلومات، وإنما هو يستهدف من وراء هذه المعلومات ما يجيب

على التساؤلات التى تحيره، ولذلك يجب أن يكون دقيقًا منظمًا، سواء فيما يتعلق بتسجيل المعلومات، أو بتبويبها وتصنيفها وتنظيمها؛ لأن الدراسة الاستطلاعية لا تعنى تحول الباحث إلى صحفى، بل على العكس من ذلك. فكلما كانت هذه الدراسة واقعية فى التعبير ـ أو أقرب إلى ذلك ـ كلما كانت أكثر تنظيمًا، كانت أكبر فائدة فى تقديم طريقة أفضل للدراسات اللاحقة.

وعمومًا، فإن واقع الأمر يشير إلى أن الباحث فى الدراسات الكشفية إنما ينطلق من مبدأ رئيسى، وهو الوصول إلى أقصى درجات الوضوح والدقة فى صياغته لمشكلة البحث، وفى تحديده للفروض التى يجب اختبارها، والمفاهيم التى ينطلق منها ويبنى عليها فكره، وكل ذلك لا يتحقق إذا اكتفى بمجرد جمع كميات من المعلومات المتفرقة التى لا ينظمها إطار واضح، ولا فكر منسق.

وسائل الدراسة الاستطلاعية:

إن الدراسات الاستطلاعية لا تقتصر على وسيلة دون أخرى، فالباحث يلجأ إلى كل الوسائل التى تمكنه من الحصول على المعلومات الواسعة الغزيرة، وإن كان يكثر ـ عادة ـ فى البحوث الاستطلاعية استخدم الاستبيان والمقابلة غير المقننة والملاحظة غير المحددة بإطارات دقيقة؛ لأنها من الأدوات التى ينتهى استخدامها إلى تحصيل كمية هائلة من المعلومات. ويبقى دور الباحث على اختيار ما يراه مرتبطًا بالموضوع.

وحيث إننا سنتناول الحديث عن الاستبيان بشىء من التفصيل لاحقًا فإننا نتحدث عن المقابلة غير المقننة والملاحظة غير المحددة:

أولاً: المقابلات غير المقننة:

سميت المقابلات غير المقننة بهذا الاسم؛ لأن الشخص الذى يقوم بالمقابلة لا يعتمد على خطة متسلسلة من الأسئلة يقوم بتوجيهها للمستجيب. وتهدف المقابلة غير المقننة إلى استطلاع بعض القضايا التمهيدية لكى يتمكن الباحث من إعداد صياغة جيدة للمتغيرات التى تحتاج إلى بحث متعمق. فيتم إجراء مقابلات غير

مقننة مع الأفراد الذين لهم علاقة بالموضوع. ولكى يتم فهم الموقف كاملًا، يقوم الباحث بمقابلة الموظفين على مختلف المستويات. وفى المرحلة الأولية لتلك المقابلات يقوم الباحث بطرح أسئلة مفتوحة وعامة فقط، ومن الإجابات عن تلك الأسئلة يستنتج الباحث مؤشرات عن تصورات الأشخاص. وربما تختلف نوعية وطبيعة الأسئلة الموجهة للأشخاص حسب مستوى الوظيفة ونوع العمل الذى يقوم به المستجيب. فعلى سبيل المثال، يمكن توجيه أسئلة مباشرة إلى الإداريين فى المستويات العليا والمتوسطة عن تصوراتهم للمشكلة والموقف، أما الموظفون فى المستويات الدنيا فربما توجه لهم أسئلة بطرق مختلفة.

ويمكن توجيه أسئلة عامة ومفتوحة للسكرتارية والموظفين الآخرين فى المستويات الدنيا من التنظيم الإدراى عن وظائفهم وبيئة عملهم خلال المقابلة غير المقننة. كذلك يمكن توجيه أسئلة عامة للمشرفين عن أقسامهم، وموظفيهم.

وهذا يعنى أن المقابلة غير المقننة مرنة لا قيود عليها، حيث يمكن تعديل الأسئلة أو تبديلها أو زيادتها أو نقصانها بحسب الظروف وأوضاع المستجيبين، وتشجيعهم على التعبير عن ذواتهم بحرية.

ثانيًا: الملاحظة غير المحددة

الملاحظة غير المحددة هى ملاحظة غير مضبوطة، وهى بداية للملاحظة العلمية، تنجم عنها فرضية، تحتاج إلى بحث وتدقيق، وتستخدم فى الدراسات الاستطلاعية، كملاحظة سلوك شخص بشكل مباشر دون تخطيط مسبق.

وتقوم الملاحظة غير المحددة على مجرد رؤية الباحث للظواهر من حوله بصريًّا، دون اخضاعها للتقنين العلمى، سواء بالتصوير أو التسجيل.

هدف الملاحظة غير المحددة:

تستخدم الملاحظة غير المحددة عندما يهدف الباحث إلى دراسة استطلاعية للتعرف على واقع معين أو لجمع المعلومات والبيانات.

فوائد المنهج الوصفى:

يقدم الأسلوب الوصفى فى البحث كثيرًا من الفوائد التى تفيد الإنسان فى فهم مختلف الظواهر الاجتماعية والإنسانية وذلك عن طريق ما يلى:

١ ـ تقديم حقائق ومعلومات وبيانات دقيقة عن واقع ظاهرة ما أو حدث ما أو شىء ما أو حالة ما.

٢ ـ يقدم توضيحًا للعلاقات بين الظواهر المختلفة، كالعلاقة بين الأسباب والنتائج والعلاقة بين الكل والجزء، بما يساعد الإنسان على فهم هذه الظواهر.

٣ ـ تقديم تفسير وتحليلٍ للظواهر المختلفة بما يساعد الإنسان على فهم العوامل التى تؤثر على هذه الظواهر.

٤ ـ تساعد إلى حد ما فى التنبؤ بمستقبل الظواهر المختلفة من خلال تقديم صورة عن معدل التغير السابق فى ظاهرة ما بما يسمح للإنسان من التخطيط العام لبعض جوانب المستقبل.

٥ ـ لما كانت الدراسات الوصفية تتميز بدقتها ووضوح معالمها المنهجية والتحليلية، فإن الدراسة فى ظل المنهج الوصفى يمكن أن:

أ ـ تثرى المعلومات والبيانات المتوافرة عن موقف ما أو ظاهرة معينة.

ب ـ توفر الظروف العملية الملائمة لدراسات أكثر عمقًا وشمولًا.

٦ ـ ترتبط الدراسة التى تستخدم المنهج الوصفى بأهداف تطبيقية، وبالتالى فإنها من أكثر الصيغ والتصميمات البحثية أهمية من الوجهة العلمية.

٧ ـ يتميز المنهج الوصفى بالشمولية فى دراساته، واتساع إطاراته، وتركيزها على جمع المعلومات الممكنة حول موقف معين، ووفق إطار محدد. وهذا فى حد ذاته يشير إلى أن نتائج الدراسات الوصفية يمكن أن تكون مصدرًا لمشكلات جديدة قابلة للبحث، تنبثق منها، كما أنها يمكن أن تنمى الإطارات النظرية والمفاهيم القائمة حول الموضوع محل الدراسة.

٨ ـ يفيد المنهج الوصفى فى تتبع الظواهر المعنية، من خلال نوع الدراسات التى تسمى (الوصف طويل المدى) من الوجهة الزمنية، الأمر الذى يجعلها ذات فائدة أوسع وأكبر فى تحديد سياق التغير فى الظاهرة.

المآخذ التى تؤخذ على المنهج الوصفى:

هل يمكن اعتبار الأسلوب الوصفى أسلوبًا علميًّا؟

يرى بعض الباحثين أن الدراسات الوصفية هى أعمال علمية وليست أبحاثًا بمعنى الكلمة؛ لأنها تقدم وصفًا وتفسيرًا لواقع ما معين، ولكنها لا تتعمق للكشف عن الطريقة التى تؤثر بها العوامل المختلفة على ظاهرة ما أو الكشف عن مقدار تأثير كل عامل على هذه الظاهرة كما يحدث عادة فى البحوث التجريبية.

ويبالغ بعض الباحثين فى التقليل من أهمية الدراسات الوصفية وذلك استنادًا إلى الأسس التالية:

١ ـ يخشى من اعتماد الباحث على معلومات خاطئة نتيجة لأخطاء مقصودة أو غير مقصودة فى مصادر المعلومات سواء كانت مصادر بشرية أو مادية كالسجلات والآثار والوثائق، على أن هذا النقد يمكن أن يتضاءل كثيرًا إذا اهتم الباحث بفحص وثائقه فحصًا دقيقًا قبل أن يعتمدها.

٢ ـ توجد فرصة لتحيز الباحث فى جمع البيانات وميله إلى مصادر معينة تزوده بما يريد ويرغب لا سيما بما هو حقيقى؛ وذلك لأن الباحث يتعامل مع ظواهر اجتماعية وإنسانية غالبًا ما يكون طرفًا فيها، وهذا النقد يتضاءل أيضًا بوعى الباحث وموضوعيته.

٣ ـ أن جمع المعلومات فى الدراسات الوصفية غالبًا ما يتم عن طريق عدد من الأفراد الذين يساعدون الباحث فى هذه العملية، وتتأثر عملية جمع المعلومات بتعدد الأشخاص الذين يجمعونها وبأساليبهم المختلفة فى الحصول عليها مما

يجعلها عرضة للنقد وعدم الدقة. وهذا النقد يتضاءل أيضًا إذا استطاع الباحث أن يدرب مساعديه على طريقة جمع المعلومات ويقنن أساليبهم فى البحث.

٤ ـ إن إثبات الفروض فى الدراسات الوصفية عملية صعبة؛ وذلك لأنها تتم عن طريق الملاحظة وجمع المعلومات المؤيدة والمعارضة للفروض دون أن تتاح الفرصة لاستخدام التجربة فى إثبات هذه الفروض، فإثبات الفروض فى الدراسات الوصفية عن طريق الملاحظة يقلل من قدرة الباحث على اتخاذ القرار، فالباحث قد لا يستطيع ملاحظة كل العوامل أو يغفل بعضها أو لا يستطيع التوصل إلى إثباتات كافية أو شواهد كافية مما يعيقه عن إثبات فروضه أو نفيها.

٥ ـ أن الدراسات الوصفية غالبًا ما تناقش ظواهر محددة بزمان معين ومكان معين ومن الصعب تعميم نتائجها؛ ذلك لأن هذه الظواهر تتغير من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر.

٦ ـ أن قدرة الدراسات الوصفية على التنبؤ تبقى محدودة وذلك لصعوبة الظاهرة الاجتماعية وتعقدها وتعرضها لعوامل متعددة تؤثر على سرعة تطورها أو تغيرها.

على أن هذه الانتقادات لا تقلل من أهمية استخدام الدراسات الوصفية فى مختلف مجالات الظواهر الإنسانية، حيث تبقى عملية وصف الظواهر وتفسيرها هى الخطوة الأولى للوصول إلى العلم.

٧ ـ مشكلة احتمال عدم دقة المعلومات: إذ يخشى اعتماد الباحثين على معلوماته خاطئة، سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة فى مصادر المعلومات البشرية أو المادية كالآثار أو السجلات والوثائق.

٨ ـ مشكلة تحيز بعض الباحثين: يخشى هذا النمط من البحوث أن توجد فرصة لتحيز بعض الباحثين وبخاصة فى جمع المعلومات والبيانات، وميلهم إلى

مصادر معينة وبخاصة عندما يتناولون قضايا اجتماعية وإنسانية غالبًا ما يكونون طرفًا فيها.

٩ ـ تعدد الأشخاص الذين يجمعون المعلومات والبيانات: وهم مساعدو الباحث الذين يعاونوه فى جمع المعلومات، واختلاف أساليبهم واتجاهاتهم مما قد يسبب عدم الدقة.

١٠ ـ مشكلة تعميم النتائج: وذلك لأن البحوث الوصفية تركز على ظواهر محددة بزمان معين، ومكان معين، ومن الصعب تعميم النتائج؛ ذلك لأن الظواهر تتغير بتغير المكان والزمان.

١١ ـ مشكلة القدرة على التنبؤ: تبقى القدرة على التنبؤ فى البحوث الوصفية محدودة وذلك لصعوبة الظواهر التربوية والاجتماعية وتعقدها، وتعرضها لعوامل متعددة تؤثر على سرعة تطورها أو تغيرها.

عرض لأهم أساليب وأنواع بحوث المنهج الوصفى

أولاً : البحث المسحى.

مفهوم البحث المسحى.

مواصفات البحث المسحى.

أهداف البحث المسحى.

أهمية البحث المسحى.

متى يطبق البحث المسحى؟

كيف يطبق البحث المسحى.

أساليب تستخدم فى الدراسات المسحية.

- **المسح المدرسى:**

الموضوعات التى يتناولها المسح المدرسى

أهداف المسح المدرسى

- **المسح الاجتماعى:**

ماهية المسح الاجتماعى.

حقيقة المسح الاجتماعى.

أنماط دراسات المسح الاجتماعى وتصنيفاتها.

- **دراسات الرأى العام:**

تعريف دراسات الرأى العام.

فوائد دراسات الرأى العام.

خطوات دراسات الرأى العام.

- **دراسات تحليل العمل:**

تعريف دراسات تحليل العمل

استخدامات تحليل العمل

ـ فوائد دراسات تحليل العمل

ـ مقارنة بين البحوث المسحية وغيرها من البحوث.

ـ المميزات والعيوب فى البحث المسحى.

أولاً: البحث المسحى
Survey Research

مفهوم البحث المسحى:

المسح هو أكثر طرق البحث التربوى والاجتماعى استخدامًا ذلك بأننا بواسطة المسح نجمع وقائع ومعلومات موضوعية ـ قدر الإمكان ـ عن ظاهرة معينة أو حادثة مخصصة أو جماعة من الجماعات أو ناحية من النواحى [صحية، تربوية، اجتماعية]، مثلًا.

والدراسة المسحية الوصفية هى طريقة منظمة، مقننة، مرتبة، لجمع بيانات ومعلومات دقيقة، واضحة ومحددة، لوضع قائم مطلوب تناوله بالدراسة البحثية، وترتبط الدراسات المسحية، عادة بالمساحة الجغرافية. هذه المساحة الجغرافية قد تكون فى بعض الأحيان واسعة، وقد تكون فى أحيانٍ أخرى محدودة، فقد تمتد الدراسة الوصفية لتشمل حتى عدة أقطار، وقد تقتصر على دولة واحدة، وقد تقتصر على منطقة معينة فى الدولة الواحدة، أو مدينة بعينها فى الدولة الواحدة، أو حى سكنى معين فى المدينة، وتنتهى إلى دراسة وحدة صغيرة من وحدات ذلك الحى، وكل ذلك يتوقف على نوع الدراسة المطلوب تنفيذها.

والمسح عبارة عن دراسة عامة لظاهرة موجودة فى جماعة معينة وفى مكان معين وفى الوقت الحاضر. والمسح أنواع: فهناك المسح العام كما يحدث فى التعداد السنوى للسكان، وهناك الدراسات الوصفية وهى فى بعض الأحيان تكون كالمسح العام،

وكذلك الدراسات الكشفية والدراسات التحليلية، كما يتضمن هذا النوع من الدراسات الطولية والدراسات العرضية. ويلاحظ أن معظم دراسات المسح دراسات ميدانية. وجميعها تختص بالبعد الزمنى وهو الحاضر.

والدراسات المسحية هى عبارة عن محاولة لجمع بيانات من أفراد مجتمع ما من أجل تحديد الوضع القائم لذلك المجتمع بالنسبة لمتغير واحد أو أكثر. والمجتمعات يمكن تحديدها بشكل عريض (مثل مجتمع الناخبين فى بلد ما لرئاسة الدولة أو لمجالسها النيابية، أو مثل جميع أولياء أمور الطلبة المتفوقين فى المدارس الابتدائية فى البلد بأكمله أو فى واحدة من مديريات التربية فيه) وقد يشمل تحديد الوضع القائم لمجتمع ما بالنسبة لمتغير معين لتقييم أنواع مختلفة من البيانات (مثل الاتجاهات، والآراء، والصفات المميزة، وغيرها).

وعلى العموم فمعظم التعاريف للمسح تتضمن النقاط التالية:

١ ـ أن المسح ينصب على الوقت الحاضر بتناول أشياء موجودة بالفعل وقت إجراء الدراسة.

٢ ـ الدراسة العلمية للظواهر الموجودة فى جماعة معينة وفى مكان معين.

٣ ـ أن يتعلق بالجانب العملى إذ يحاول فيه الباحث الكشف عن الأوضاع القائمة للاستعانة بما يصل إليه فى التخطيط للمستقبل.

والبحوث الوصفية قد تكون مجرد مسح شامل وعملية تعدادية مثل الإحصاءات الرسمية التى تجرى لمعرفة تعداد السكان. والبيانات التى يتم الحصول عليها فى هذا النوع هى فى أساسها بيانات كمية. ويشكل المسح العام أو الشامل طريقة رئيسية فى الحصول على الحقائق والأرقام المضبوطة عن موقف قائم (مثل الإحصاءات السكانية فهو يحصل على عدد الأشخاص الذين يقطنون بلد ما وتوزيعهم وأعمارهم ومهنهم... إلخ).

ويعتبر هذا النوع من المسح كمرجع مهم للباحثين فى كثير من الدراسات.

ويعتقد البعض خطأ أن المسح العام أو الشامل لا يزيد عن كونه مجرد البحث عن الحقيقة، فهو قد يتمخض عن صياغة مبادئ مهمة وتعميمات علمية. والحقائق التى تنتج عن مسح دقيق قد تكون أحيانًا غاية فى الفائدة فى حد ذاتها. وعلى سبيل المثال، فإنه عندما تفكر إدارة التعليم فى إنشاء مدرسة فى أحد الأحياء تضطر لإجراء مسح لمعرفة عدد أطفال الحى لتخطيط احتياجات الحى التعليمية المستقبلية من مدرسين وأدوات وأجهزة على أساس علمى.

وبقراءة كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات تتصل بمشكلة البحث، ولا تقتصر ذلك على ميدان البحث بل يتسع إلى الاطلاع فى الميادين الأخرى المرتبطة به؛ لأن الاطلاع قد يمده بأفكار جديدة لها قيمتها العلمية. هذا إلى جانب استشارة ذوى الخبرة والمهتمين بالموضوع للتعرف على آرائهم وأفكارهم التى قد لا تتوفر فى المادة المطبوعة، وكثيرًا ما يبدأ الباحث بدراسة بعض الحالات المتفرقة دون الالتزام بقواعد معينة؛ لأن الباحث يهدف إلى تعرف عام على مجال المشكلة موضوع البحث. والغرض من ذلك هو الحصول على معرفة شاملة تبصر الباحث بمتغيرات جديدة كما تعينه على استبصار المتغيرات المختلفة المتداخلة فى الموقف.

والدراسات المسحية هى ذلك النوع من الاستقصاء الذى يتناول عددًا كبيرًا (نسبيًّا) من الحالات (مدارس، تلاميذ، معلمين، وظائف، كتب، معدات، أبنية، مناهج، طرق تدريس.. إلخ) بقصد تشخيص أوضاعها التى هى عليها، أو جوانب معينة من هذه الأوضاع، دون الاقتصار على حالة واحدة منها بالذات.

ويعتبر من أنواع البحث الوصفى المشهورة والكثيرة الاستعمال فى البحث التربوى، البحث المسحى (Survey Research) والمسح هو محاولة لتحليل وتفسير وعرض واقع الحال للأفراد فى مؤسسة كبيرة أو لمجموعة كبيرة نسبيًّا من الأفراد فى منطقة معينة. من أجل توجيه العمل فى الوقت الحاضر وفى المستقبل القريب. ومن ذلك مسح واقع المدارس.

ويقصد بالبحث المسحى ذلك النوع الذى يتم بواسطة استجواب جميع أفراد مجتمع البحث أو عينة كبيرة منهم، وذلك بهدف وصف الظاهرة المدروسة من حيث طبيعتها ودرجة وجودها فقط، دون أن يتجاوز ذلك إلى دراسة العلاقة أو استنتاج الأسباب.

مواصفات البحث المسحى:

ـ من حيث خطواته الإجرائية: يمكن تطبيقه على مجموعة واحدة ويمكن تطبيقه على مجموعتين.

ـ من حيث الأهداف: يهدف إلى وصف الواقع ولا يتجاوز لمعرفة العلاقة أو استنتاج الأسباب.

ـ يتم بواسطة: استجواب الأفراد بصورة مباشرة عن طريق (المقابلة)، أو بصورة غير مباشرة (الاستبيان).

ـ يطبق فيه: المسح العام الذى يتناول مجتمع البحث أو عينة كبيرة منه بهدف تشخيص واقعها ووصفه فقط.

أهداف البحث المسحى:

تتمثل أهداف البحوث المسحية فى النقاط التالية:

ـ حصر القوة البشرية والمادية فى المجتمع موضوع الدراسة.

ـ الحصول على معلومات واقعية وممثلة للحالة الفعلية أصدق تمثيل.

ـ الحصول على صورة شاملة لنواحى النشاط المختلفة.

ـ تغطية كافة الأفراد فى المجتمع موضوع الدراسة، بحيث يمكن الإفادة من نتائج البحث فى مشروعات التخطيط المستقبلية.

وقد حدد بعض العلماء أهداف الدراسات المسحية فى النقاط التالية:

١ ـ وصف طبيعة الظروف الراهنة.

٢ ـ تحديد معايير يمكن بواسطتها مقارنة تلك الظروف.

٣ ـ تحديد العلاقة التى توجد بين أحداث معينة.

وقد يكون الهدف تحديد كفاءة الوضع القائم عن طريق مقارنته بمستويات أو معايير أو محكات تم اختيارها أو إعدادها، كأن نقارن بين درجات تلاميذ صف ما بمعايير أعدت مسبقًا.

أهمية الدراسات المسحية:

أولًا: تعتبر المسوح الاجتماعية ذات فائدة نظرية، فالباحث الاجتماعى يلجأ إليها بعد أن تكون قد أجريت بحوث كشفية على الظاهرة موضوع الدراسة، فيحاول جمع الحقائق عن الظاهرة وتحليها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات بشأنها. وتتوقف الأهمية النظرية للدراسات المسحية على مقدار ما أسفرت عنه الدراسات السابقة، وعلى مدى معرفة الباحث بالظاهرة المدروسة. ففى بعض الأحيان قد يصمم البحث المسمى للتحقق من صحة بعض الفروض.

ثانيًا: يستفاد بالمسح الاجتماعى فى عمليات التخطيط القومى التى تستهدف تنمية الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتوفير الرفاهية والرخاء لأفراد المجتمع فى فترة زمنية محددة. ولما كان التخطيط القومى يستلزم التعرف على الأهداف المختلفة للجماعة وقياسها كمًّا وكيفًا، وترتيبها حسب أولويتها، واستقصاء رغبات الأفراد والجماعات، والتعرف على ميولهم واتجاهاتهم والكشف عن الموارد الطبيعية والقوى والإمكانات البشرية وتقديرها وكيفية ومدى استغلالها، فإنه يجب القيام بمسح اجتماعى لجمع البيانات المطلوبة.

ثالثًا: يستفاد بالمسح الاجتماعى دائمًا فى دراسة المشكلات الاجتماعية القائمة وتحديد مدى تأثيرها على المجتمع، وتحديد ومعرفة الأفراد والجماعات المهتمة بحل هذه المشكلات وتقدير الموارد والإمكانات الموجودة والتى يمكن استخدامها لعلاج المشكلات ثم اقتراح الحلول لها.

رابعًا: يستفاد بالمسح الاجتماعى فى قياس اتجاهات الرأى العام نحو مختلف الموضوعات. وقد يتطلب الأمر فى كثير من الأحيان قياس الاتجاهات فى مراحل مختلفة لتقويم الجهود المبذولة أو المقارنة بين طرق مختلفة لتغيير الاتجاهات.

أنواع المنهج المسحى:

هنالك ثلاثة أنواع من المسح:

- مسح عام
- مسح مستعرض
- مسح طولى

وفى البحث المسحى يطبق النوع الأول (المسح العام) الذى يتناول مجتمع البحث أو عينة كبيرة منه بهدف تشخيص واقعها ووصفه فقط.

أما المسح المستعرض، والمسح الطولى، فهما يطبقان فى المسح التتبعى بغرض معرفة الأثر الذى يحدثه عامل الزمن من نمو أو تغير فى إجابات أفراد العينة حول الظاهرة المدروسة.

وتشتمل الدراسات المسحية على الأنواع التالية:

- المسح المدرسى.
- المسح الاجتماعى.
- دراسة الرأى العام.
- تحليل العمل.

ولقد وضع المهتمون بمناهج البحث تصنيفات أخرى متعددة للبحوث وسنعرض ثلاثة من هذه التصنيفات فيما يلى:

أ ـ من ناحية الدراسة: تصنف البحوث المسحية من ناحية مجال الدراسة فى مجموعتين هما:

ـ المسوح العامة: وهى التى تعالج عدة أوجه من الحياة الاجتماعية، دراسة الجوانب السكانية والتعليمية والصحية والزراعية فى مجتمع معين أيًّا كان حجم هذا المجتمع.

ـ المسوح الخاصة أو المحددة: وهى التى تهتم بنواحى خاصة محددة من الحياة الاجتماعية كالتعليم أو الصحة أو الزراعة أو الصناعة.

ب ـ من ناحية المجال البشرى: وتصنف من ناحية المجال البشرى فى مجموعتين هما:

ـ المسوح الشاملة

ـ المسح بطريقة العنية

ج ـ من الناحية الزمنية: ينقسم المسح إلى أنواع ثلاثة:

ـ قبلية.

ـ دورية.

ـ بعدية.

أمثلة على الدراسات المسحية:

ومن الأمثلة على المسح ما تقوم به بعض الشركات من مسح للرأى العام فى الأسواق، لتحديد أى المنتجات أو التعليب أو الإعلان تستهوى المستهلك، ولقد حققت المؤسسات التجارية والصناعية زيادة هائلة فى الأرباح وذلك بتلافى الأخطاء فى تسويق منتجاتهم وذلك بمعرفة رد الفعل مقدمًا لدى المستهلك.

ومن الأمثلة على البحوث المسحية أيضًا:

دراسة مقارنة لقسمين من الأقسام العلمية فى جامعتين من حيث دور أعضاء التدريس فيهما فى البحث العلمى وفى خدمة المجتمع.

مقارنة مدى انتشار ظاهرة التدخين بين طلاب المرحلة الإعدادية وطلاب المرحلة الثانوية.

فالباحث فى المثالين السابقين وما شابههما لا يعنى إلا بوصف ما هو كائن فقط. أى يعنى بالإجابة عن سؤال (ماذا؟) وليس عن سؤال (لماذا؟).

متى يطبق البحث المسحى؟

يطبق البحث المسحى لتحقيق واحد أو أكثر من أحد الأغراض التالية:

- معرفة بعض الحقائق التفصيلية عن واقع الظاهرة المدروسة حتى يتمكن الباحث من تقديم وصف شامل وتشخيص دقيق لذلك الواقع.
- تحديد المشكلات أو تقديم أدلة لتبرهن على سلوكيات واقعية وأوضاع راهنة.
- إجراء مقارنة بين واقعين أو أكثر.
- إصدار أحكام تقويمية على واقع معين.
- تحليل تجارب معينة بهدف الاستفادة منها عند اتخاذ قرار بشأن أمر مشابهة لها.

كيف تطبق البحث المسحى؟

يطبق البحث المسحى طبقًا لخطوات، وهذه الخطوات هى:

أ. توضيح ماهية المشكلة المراد دراستها توضيحًا يعمل على:

- تهيئة ذهن القارئ للشعور بوجودها (التمهيد للمشكلة).
- يحدد المشكلة، ويحصر التساؤلات التى يحاول البحث الإجابة عنها (تحديد المشكلة وأسئلة البحث).
- يحدد أهداف البحث تحديدًا تامًّا (أهداف البحث).
- يؤكد دور البحث فى الإضافة العلمية، أو حل مشكلة يواجهها المجتمع (أهمية البحث).

ـ يشرح الإطار النظرى الذى يدرس المشكلة من خلاله (الإطار النظرى).

ـ يبرز الحدود المكانية، والزمنية والموضوعية لمشكلة البحث (حدود البحث).

ـ يكشف عن الجوانب التى لا يستطيع الباحث أن يحكم بصحتها أو خطأها (قصور البحث).

ـ يحدد المدلول الإجرائى للمصطلحات المهمة التى تتكون منها مشكلة البحث (مصطلحات البحث).

ب. مراجعة الدراسات السابقة:

لا بد من محاولة مراجعة البحوث السابقة حتى يقف الباحث على ما انتهى إليه غيره، وإن كان هناك محاولات ذات ارتباط وثيق وصلة قوية بمشكلة البحث بشكل عام، أو بجانب من جوانبها عبر الخطوات الآتية:

ـ تحديد جوانب المشكلة.

ـ وضع قائمة بالمصطلحات التى تصف المشكلة.

ـ مراجعة المصادر التمهيدية لحصر المصادر.

ـ تحديد الأماكن التى توجد بها المصادر.

ـ إعداد البطاقات.

ـ القراءة وتسجيل المعلومات.

ـ تبويب البطاقات.

ـ إخراج الفصل وكتابته.

ج. توضيح كيفية تصميم البحث، وتحديد خطواته الإجرائية:

حتى يجيب الباحث عن السؤال (كيف) أجرى البحث؟، يتحتم عليه أن يبين ما يلى:

ـ مجتمع البحث الذى سوف تعمم عليه نتائج البحث.

ـ عينة البحث وطريقة اختيارها.

ـ أداة جمع المعلومات (الاستبيان ـ أو المقابلة) وكيفية تصميمها.
ـ الأسلوب الذى تم تطبيقه فى جمع المعلومات.
ـ الأسلوب الذى تم تطبيقه لتحليل المعلومات.

د. تحليل المعلومات وتفسيرها:

وهذه الخطوة تتم بعد أن يتأكد الباحث من صحة المعلومات، ويبوبها التبويب الملائم، ويقوم بتفريغها فى قوالب محددة طبقًا لأسئلة البحث وبعد ذلك تخضع للمعالجة الإحصائية.

هـ. سرد النتائج والتوصيات:

مشيرًا فى ذلك إلى:
ـ تحديد النتائج التى توصل إليها الباحث حول أسئلة البحث.
ـ ما يقترحه الباحث من توصيات تساعد على حل المشكلة.
ـ ما يقترحه من بحوث تساهم فى تكامل المعرفة، وتقديم حلول علمية فى مجال بحثه.

أساليب جمع البيانات:

تستخدم الدراسات المسحية أدوات البحث العلمى المختلفة للحصول على المعلومات والبيانات اللازمة، مثل الاستبيان والمقابلة والملاحظة والاختبارات ولكن الأساليب الأساسية التى يستحسن استخدامها فى جمع البيانات والمعلومات فى الدراسة المسحية فهى كالتالى:

ـ الاستبيان
ـ المقابلة
ـ الاتصال الهاتفى
ـ الملاحظة

ـ دراسة السجلات اليومية

ـ دراسة آراء عدد من الناس ذوى الصلة

ـ تحليل أساليب اسقاطية

ـ تحليل الشائعات والنكات

ويمكن استخدام واحد أو أكثر من الأدوات السابقة من قبل الباحث. حسبما تقتضيه ضرورة الدراسة.

المسح المدرسى

تقوم المؤسسات التربوية بإجراء دراسات مسحية بهدف التقويم الداخلى والخارجى لبرامجها التعليمية أو بعض جوانبها، وإلى وضع الخطط المناسبة لرفع كفاءة العملية التربوية وفاعليتها وذلك عن طريق جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالبيئة المدرسية من خلال الملاحظات والمقابلات والاختبارات والاستفتاءات ومقاييس التقدير وبطاقات الدرجات وغير ذلك من الطرق المستخدمة فى جمع البيانات، والمسح المدرسى يساهم فى التعرف على الممارسات التربوية والتعليمية والإدراية والمالية والمناهج الدراسية السائدة فى مدارسنا مما يجعلنا على دراية بكل ما يدور فى البيئة المدرسية من عوامل تؤثر فيها، الأمر الذى يساعدنا فى وضع الحلول المناسبة للنهوض بالعملية التربوية التعليمية فى ضوء النتائج التى تم التوصل إليها.

ويقصد بالمسح المدرسى دراسة المشكلات المتعلقة بالميدان التربوى بأبعاده المختلفة مثل: المعلمون، والطلبة، ووسائل التعليم، وأهداف التربية، والمناهج الدراسية...

ويعد المسح المدرسى ميدانًا خصبًا للدراسات والبحوث التربوية، خاصة وأنه مرتبط بشكل خاص بالنظام التربوى بمجمله. ولا زال هذا المجال يعانى نقصًا هائلًا فى المعلومات التى تساعد فى تطوير النظام التربوى وتحسينه والحد من المشكلات المتزايدة فى مجال التربية والتعليم.

ويتناول المسح المدرسى الموضوعات التالية :

- المناخ التعليمى
- خصائص المعلمين
- خصائص التلاميذ
- المناهج المدرسية

المناخ التعليمى :

تتناول بعض الدراسات المسحية العوامل الإدارية والاجتماعية والقانونية والمادية للتعلم. فهى تبحث فى تشكيل الهيئات واللجان التربوية وسلطاتها ومسئولياتها، وعلاقاتها المتبادلة وتكلفة التلميذ ومصادر التمويل والتجهيزات وإمكانات المكتبة والمعامل والوسائل التعليمية والملاعب والأدوات الرياضية والتهوية والإضاءة وعوامل الأمن والسلامة... وغير ذلك من مختلف العوامل المرتبطة بفاعلية تعلم التلاميذ.

خصائص المعلمين :

هناك العديد من الباحثين يقومون بإجراء دراسات مسحية عن خصائص المعلمين فى الفصل المدرسى؛ وذلك لأن المعلمين يلعبون دورًا هامًا فى العملية التعليمية، بالإضافة إلى مؤهلاتهم، وسماتهم الشخصية، وكفايتهم المهنية، والخلفية الاجتماعية والثقافية لهم، وقدراتهم، واتجاهاتهم، ومسئولياتهم، وسلطاتهم، والتفاعلات الدينامية بين المدرسين، ورضاهم عن العمل، كما تهتم دراسات أخرى بتناول العلاقة بين سلوك المعلمين وتعلم التلاميذ وتقوم هذه الدراسات على افتراض أن خصائص معينة لسلوك المدرس تساعد التلاميذ على التعلم.

خصائص التلاميذ :

باعتبار التلميذ محور العملية التعليمية، لذا نجد اهتمامًا بالغًا من الباحثين فى مجال التربية باختيار بعض الموضوعات المتعلقة بخصائص التلاميذ ومن أمثلة تلك

الدراسات: الدراسات المسحية للأنماط السلوكية للتلاميذ داخل الفصل الدراسى، ومع الزملاء، وفى المنزل، وفى المجتمع، وفى الملعب، كذلك دراسة ميول التلاميذ وقدراتهم واتجاهاتهم وذكائهم واستعداداتهم وتحصيلهم الدراسى، وعاداتهم الصحية وأنشطة وقت الفراغ، كما تتناول بعض تلك الدراسات حالات الجناح من التلاميذ، ودراسة الأنماط السلوكية لدى التلاميذ المعاقين.

المناهج المدرسية:

تتناول بعض الدراسات المسحية المدرسية المناهج الدراسية بالبحث والدراسة مثل إجراء دراسات تتعلق بمحتوى المناهج، ومحتوى الكتب الدراسية والوقت المخصص للأنشطة، وطبيعة الخدمات المدرسية وعددها كخدمات المكتبة والتوجيه والبحث، كذلك تتناول تلك الدراسات المواد التعليمية من حيث طبيعتها ومقدارها.

ومن المهم فى أثناء التخطيط للدراسات المسحية مراعاة ما يلى:

- وضع أولويات بالمشكلات التربوية الملحة التى تواجه تطور العملية التربوية.
- رفع مستوى كفايات المعلمين فى مجال إجراء الأبحاث والدراسات؛ لأن مشاركة المعلمين فى هذه الدراسات خطوة لا يمكن الاستغناء عنها.
- تجنب إضاعة الوقت فى دراسة المشكلات التربوية السطحية، أو الظواهر التربوية العابرة، فالجهود يجب أن تتركز على جوهر العملية التربوية والعوامل المهمة التى تؤثر عليها، فلا يجوز أن يصرف جهدًا على أجزاء دراسة تتعلق بمشكلة الإضاءة فى المكتبة فى أثناء انقطاع التيار الكهربائى، أو نفور الطلاب فى أحد المدارس من دراسة مادة معينة.

القائمون على الدراسات المسحية فى المؤسسات التربوية:

وتنفذ الدراسات المسحية عادة من قبل الخبراء والمختصين من خارج المؤسسة التربوية أو من قبل العاملين المؤهلين من داخل المؤسسة التربوية، وقد يكون

البحث المسحى تعاونيًّا يشترك بها الخبراء من خارج المؤسسة والمؤهلون من داخلها.

فإذا قام فريق من الخبراء والمختصين من خارج المؤسسة التربوية بإجراء الدراسات المسحية فإن ذلك يحقق مزايا عديدة مثل قدرة هؤلاء الباحثين على أن يقفوا موقفًا موضوعيًّا من المشكلات والأوضاع التربوية السائدة؛ وذلك لعدم علاقاتهم الشخصية بها ولعدم تأثرهم بخبرات خاصة مرتبطة بها، كما أن توفر الخبرة والاختصاص عند فريق الخبراء سيجعل من المدرسة أكثر عمقًا ودقة وجرأة فى معالجة المشكلات وطرح الحلول، لكن يؤخذ على هذه الدراسات أن استجابة المعلمين لها تكون محدودة والتزامهم بنتائجها محدودًا إذا شعروا بأنها مفروضة عليهم.

أما إذا قام المعلمون أنفسهم بهذه الدراسات أو قام بها أشخاص مؤهلون من العاملين فى المؤسسة التربوية ـ مديرون، مشرفون، رجال المناهج، أخصائيو البحث الاجتماعى والإرشاد النفسى ـ فإنهم سيكونون أكثر التزامًا بالنتائج؛ لأنهم شاركوا فى الإعداد لهذه الدراسات وفى تقديم توصياتها، ولكن يؤخذ على هذه الدراسات نقص الخبرة التى غالبًا ما توجد لدى القائمين بهذه الأبحاث، بالإضافة إلى كونهم جزءًا من النظام التربوى أو المشكلات التربوية التى يدرسونها، وهذا ما قد يقلل من موضوعيتهم ودقتهم فى إجراء الدراسة المسحية.

ويفضل المربون والمخططون عادة أن تجرى الدراسات بالتعاون بين الخبرات من خارج المؤسسة والعاملين من داخلها؛ لأن ذلك سيحقق مزايا الشكلين السابقين، ويجعل الدراسة أكثر دقة لاعتمادها على خبرة المختصين وتعاون العاملين فى المؤسسة، فالخبراء يمتلكون كفايات عالية المستوى فى مجال تقنيات البحث وأساليبه والعاملون فى المؤسسة يمتلكون الخبرة والمعرفة التفصيلية لواقع العملية التربوية أو موضوع المشكلة.

أهداف المسح المدرسى:

لا شك بأن المسح المدرسى يسعى جاهدًا نحو تطوير وتحديث النظام التربوى بمجمله والمؤسسات التربوية منه بشكل خاص. مما يتطلب وضع أولويات يجدر بالقائمين على الدراسات المسحية المدرسية وضعها كأهداف إستراتيجية رئيسة ومن أهمها:

ـ وضع أولويات بالمشكلات التربوية الملحة التى تواجه تطوير العملية التربوية.

ـ رفع مستوى كفايات المعلمين فى مجال إجراء الأبحاث والدراسات، وهى خطوة مهمة فى سبيل تطوير أساليب التعليم المختلفة.

ـ التركيز على جوهر العملية التربوية والعوامل المهمة التى تؤثر عليها.

ومن الأساليب التى تستخدم فى دراسات المسح المدرسى ما يأتى:

١ ـ تحليل نشاط الفرد أو العمل الذى يقوم به عملية مهمة فى الصناعة وفى غيرها فى مجالات العمل، وعلى جميع مستويات المسئولية، فمن المفيد أن نحلل العمل فى المصنع حيث يحتاج إلى مهارات وكفاءات لعشرات الأعمال وأن تدرس هذه الأعمال بعناية على مختلف المستويات من العامل غير الماهر إلى مدير المصنع.

ونحتاج فى مجال التربية والتعليم إلى هذا النوع من التحليل، أى أن نحلل دور المفتش، وناظر المدرسة، والمدرس وذلك بهدف التعرف على ما يقوم به، وتخدم المعرفة التحليلية لمكونات العمل عدة أهداف مفيدة؛ إذ إنها تساعد القائمين على إدارة المدارس والباحثين فى النواحى الآتية:

١ ـ فى التعرف على نواحى الضعف فى الأعمال التعليمية، وما بها من تكرار وعدم كفاءة.

٢ ـ فى تحديد تصنيفات موحدة للأعمال المتشابهة.

٣ ـ فى تحديد أجور ومرتبات الأعمال التى تتطلب مستويات مختلفة من المهارة والمسئولية.

٤ ـ فى التعرف على الكفاءات عند اختيارها لشغل الوظائف المختلفة فى العملية التعليمية.

٥ ـ فى تعيين الموظفين فى الأعمال على نحو يحقق أفضل استخدام للقوى العاملة المتوافرة.

٦ ـ فى وضع برامج التدريب وإعداد المواد التعليمية للموظفين الحاليين أو الجدد.

٧ ـ فى تحديد شروط الترقية ومتطلباتها.

٨ ـ فى اتخاذ قرارات تتصل بنقل الموظفين من عمل إلى آخر وإعادة تدريبهم.

٩ ـ فى وضع وتطوير إطار نظرى لدراسة الوظائف الإدارية والتكوينات.

وهناك أساليب مختلفة يستخدمها أولئك الذين يقومون بتحليل العمل، ومن أهمها ملاحظة القائمين بالعمل على أن تكون ملاحظة دقيقة موضوعية وعلى أن يؤدى العمل بسرعة مناسبة تسمح بملاحظة التفصيلات، ومنها الرجوع إلى الخبراء فى الميدان وجمع أحكامهم وبهذه الطريقة يمكن تجميع قائمة تشتمل على الوظائف العامة التى تحتوى عليها الأعمال الإدارية والإشرافية والتدريسية. ولقد استطاع "شارتزر" و"وابلز" أن يجمعا تقارير من حوالى ستة آلاف مدرس عن نشاطهم وأن يفحصوا الدراسات السابقة التى أجريت عن نشاط المدرس واستطاع الباحثان أن يستخلصا من هذه البيانات والمواد قائمة تشتمل على حوالى ألف نوع من النشاطات التى يمارسها المدرسون خلال قيامهم بعملهم.

المسح الاجتماعى

بدأت هذه الدراسات على يد "هوارد" سنة ١٧٧٣، تناولت موضوعات اجتماعية مختلفة مثل دراسة أحوال السجون والمسجونين بهدف توجيه الاهتمام إلى بعض المشكلات والقضايا الاجتماعية كجزء من حركة الإصلاح الاجتماعى.

والمسح الاجتماعى عبارة عن محاولة علمية منظمة لوصف وتحليل وتفسير الوضع الراهن لجماعة أو نظام ما أو بيئة معينة، وتعتبر الدراسات المسحية الاجتماعية ذات فائدة كبيرة، فعن طريق الحقائق التى يجمعها الباحث عن الظاهرة وتحليلها وتفسيرها يمكن الوصول إلى تعميمات بشأنها، كما أنه يستفاد منها فى عمليات التخطيط القومى ودراسة المشكلات الاجتماعية القائمة وتحديد مدى تأثيرها على المجتمع، وكذلك تقدير الموارد والإمكانات المتوفرة والتى يمكن استخدامها لعلاج المشكلات ثم وضع الحلول لها، كما يستفاد من المسح الاجتماعى فى قياس الاتجاهات بالنسبة للرأى العام نحو مختلف الموضوعات المتعلقة بالمجالات التربوية والثقافية والاجتماعية، وغير ذلك من مجالات الحياة المختلفة.

ويستخدم هذا المنهج لوصف الظاهرة وتصويرها كميًّا عن طريق جمع البيانات والحقائق وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة. وعادة ما يستخدم لمعالجة ظروف الحياة المختلفة كمسح أحوال بيئية أو اقتصادية، وصحية، واجتماعية.

مثال: دراسة الفقر فى مجتمع معين والوقوف على أسبابه، ومحاولة علاج تلك الظاهرة، أو مشكلة البطالة، والتى تعانى منها العديد من المجتمعات الحديثة أو أية مشكلة أخرى متعلقة بالسلوك البشرى وأنشطة الأفراد، والهجرات الداخلية والخارجية. وغالبا ما يحاول الباحث فى مثل هذه المسوح الاجتماعية الوصول إلى نتائج تقدم لصانع القرار لإيجاد حل لها أو الحد منها.

ويعرف المسح الاجتماعى بأنه "الدراسة العلمية الدقيقة لظروف مجتمع معين بهدف تقديم برنامج للإصلاح الاجتماعى بعد معاينة وقياس المشكلة وإبعادها، ومحاولة الوصول إلى علاج معين لها لكى يتم تقديمها لصانع القرار" وتفيد هذه الدراسات فى عملية التخطيط الاقتصادى والدراسات المرتبطة بالتنمية الاقتصادية والبشرية.

مثال: دراسة أحوال السجون والمساجين، والأفراد والجماعات من مختلف الطبقات والمستويات والمشكلات والقضايا المختلفة. وتتسع لتشمل مختلف القضايا الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، وفئات المجتمع وطبقاته.

ماهية المسح الاجتماعى:

يعتبر المسح الاجتماعى مع دراسة الحالة من أشد الموضوعات جدلًا بين العلماء فى العلوم الاجتماعية، فبعضهم يرى فيه أحد المناهج الرئيسة المستخدمة فى البحوث الوصفية بينما لا يراه البعض الآخر إلا مجرد أداة بحثية، وإن استعانت بعدة أدوات أخرى للبحث.

هذا ويمكننا أن نتعرف فى عجالة على مختلف التعاريف والآراء التى تصدت لتحديد هوية المسح الاجتماعى وذلك على النحو الآتى:

١ ـ المسح الاجتماعى عبارة عن "دراسة علمية لمختلف ظروف المجتمع وحاجاته، القصد منها تقديم برنامج "مخطط" للإصلاح الاجتماعى".

٢ ـ المسح الاجتماعى عبارة عن "دراسة مختلف الظروف الاجتماعية المؤثرة فى

مجتمع ما بهدف التوصل إلى البيانات أو المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها فى وضع وتنفيذ مشروعات تستهدف الإصلاح الاجتماعى، وقد يكون المجتمع المبحوث مجتمع جيرة أو قرية أو مدينة أو مقاطعة وربما اتسع نطاق الدراسة ليضم الدولة أو الأمة بأسرها".

٣ ـ المسح الاجتماعى عبارة عن "منهج لدراسة وتحليل موقف أو مشكلة أو جمهور ما، وذلك من خلال اتباع طريقة علمية منظمة تستهدف الوصول إلى أغراض معينة".

٤ ـ المسح الاجتماعى عبارة عن "دراسة للجوانب المرضية للأوضاع الاجتماعية القائمة فى منطقة جغرافية محددة، وهذه الأوضاع لها دلالة اجتماعية ويمكن قياسها ومقارنتها بأوضاع أخرى يمكن قبولها كنموذج، وذلك بقصد تقديم برامج إنشائية للإصلاح الاجتماعى".

٥ ـ المسح الاجتماعى عبارة عن "دراسة وصفية تهدف إلى التعرف على مختلف ظروف الحياة وجوانبها فى وسط اجتماعى أو مجتمع محدد".

٦ ـ المسح الاجتماعى عبارة عن "محاولة منظمة تهدف إلى تسجيل الوضع الآتى سواء بالنسبة لمنطقة، أو لجماعة أو لنظام، ثم محاولة تحليل ذلك الوضع وتفسيره، بهدف الحصول على مجموعات مصنفة من المعلومات يمكن تطبيقها أو الاستفادة منها فى المستقبل المنظور أو القريب".

حقيقة المسح الاجتماعى:

ويمكننا أن نستخلص من التعريفات السابقة مجموعة الحقائق التالية والتى سوف نرتكز عليها فى تعريفنا للمسح الاجتماعى وذلك على النحو الآتى:

١ ـ المسح الاجتماعى دراسة وصفية علمية.

٢ ـ مجالها، المجتمع بأسره أو قطاع منه سواء أكان ذلك القطاع جغرافيًّا أو وظيفيًّا.

٣ ـ موضوع الدراسة، الوقائع الراهنة الذى تحدده أهداف الدراسة.

٤ ـ هدف الدراسة، ليس مجرد تسجيل الوقائع وإنما تصنيفها حتى يسهل التعامل معها ليس فقط بهدف التحليل والتفسير وإنما أيضًا بهدف الاستثمار فيما بعد.

٥ ـ تستعين الدراسة بمجموعة من الأدوات البحثية التى تمكنها من تحقيق غاياتها.

٦ ـ تصف الدراسة الوقائع التى تتعامل معها من خلال اللحظة الحالية أو الآتية بصرف النظر عما كانت عليه فى الماضى أو ما ستئول إليه فى المستقبل.

١ـ المسوح الاجتماعية.

٢ ـ المسوح التربوية.

٣ ـ المسوح الاقتصادية.

٤ ـ مسوح الرأى العام والإعلام.

٥ ـ المسوح الصحية.

٦ ـ المسوح النمطية الأخرى.

ولهذه الدراسات ميزة أساسية كدراسات المسح التربوى فى كونها تمثل أسلوبًا ناجحًا فى دراسة الظواهر والأحداث الاجتماعية التى يمكن جمع معلومات وبيانات رقمية وكمية عنها، وفى كونها وسيلة لقياس أو إحصاء الواقع لوضع الخطط لتطويره، ويؤخذ على هذه الدراسات أنها دراسات مسحية تهتم بالشمول أكثر مما تهتم بالعمق، فالباحث الذى يقوم بعملية المسح الاجتماعى يهتم بدراسة آراء الناس ومواقفهم المعلنة دون أن يهتم بتحليل أو بالتعمق فى دراسة العوامل التى تؤدى إلى هذه الآراء والمواقف، كما يرى بعض الباحثين أن هذه الدراسات المسحية لا تعطى الباحث مرونة كافية لاستيعاب الظاهرة كما قد يجدها فى الواقع؛ وذلك لأن الباحث يعد مسبقًا أدوات بحثه كالاستبيان مثلًا قبل أن يبدأ عملية المسح وبذلك يقيد نفسه فى أسئلة الاستبيان فقط مما قد يؤدى إلى إغفال بعض المعلومات التى يستوعبها الاستبيان، غير أن هذا النقد يمكن أن تقل أهميته كثيرًا إذا كان الباحث قد أعد استبيانه بعد فترة كافية من الدراسة والملاحظة، كما يستطيع الباحث أن يعزز

المعلومات التى يحصل عليها من الاستبيان باستخدام أدوات أخرى كالمقابلة أو الملاحظة العلمية.

وتتسع مجالات المسح الاجتماعى لتغطى جوانب الحياة الاجتماعية كلها، فالدراسات السكانية وتوزيع السكان ودراسات الأسرة وحركة السكان والهجرة الداخلية والخارجية، وعادات السكان وتقاليدهم، واتجاهاتهم نحو مختلف القضايا الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، وفئات المجتمع وطبقاته، والفروق بين فئاته، كل هذه المجالات تعتبر ميدانًا للدراسات المسحية الاجتماعية. ويفتقر مجتمعنا إلى كثير من هذه الدراسات بل إن معظم المجالات الاجتماعية ما زالت بكرًا وخالية من أية دراسات مما يجعل الباب مفتوحًا للباحثين فى طرق هذه الموضوعات.

وعلى الرغم من فائدة الدراسات المسحية، إلا أن المسح الاجتماعى له حدود ويجب على الباحث مراعاة ذلك، فالمسح الاجتماعى يرتكز على دراسة الحاضر وبالتالى فإنه لا يصلح للدراسات التطورية التى تعتمد على الربط بين الحاضر والماضى.

كما أن أهمية البحث تتوقف على عدد أفراد العينة، فإذا كان العدد قليل فإن نتائج البحث لا يمكن الاعتماد عليها لأنها تعطى صورة غير كاملة عن الجماعة أو الظاهرة المراد دراستها، ولذلك على الباحث اختيار عينة كبيرة الحجم حتى يتسنى له إصدار تعميمات صادقة على مجتمع البحث.

تصنيف دراسات المسح الاجتماعى:

هناك العديد من التصنيفات الخاصة بدراسات المسح الاجتماعى وسأورد هنا بعض هذه التصنيفات:

- التصنيف فى ضوء الهدف من البحث.
- التصنيف فى ضوء مجتمع البحث.
- التصنيف فى ضوء الفترة التى تجمع فيها البيانات.

أولاً: التصنيف فى ضوء الهدف من البحث:

يمكن تقسيم الدراسات المسحية الاجتماعية فى ضوء الهدف من البحث إلى قسمين هما:

١. الدراسات المسحية العامة:

وتتناول عدة جوانب من الحياة الاجتماعية مثل: دراسة الحالة الاقتصادية والصحية والتعليمية لمجتمع معين.

٢. الدراسات المسحية الخاصة:

وتتناول جانب خاص محدد من الحياة الاجتماعية كالاقتصاد والصحة والتعليم فى مجتمع ما.

ثانيًا: التصنيف فى ضوء مجتمع البحث:

يمكن تصنيف البحوث فى ضوء المجتمع الذى سيطبق عليه البحث إلى الآتى:

١. المسح الشامل:

يتم فيه دراسة جميع مفردات المجتمع وهذا النوع يحتاج إلى إمكانات وتكاليف كثيرة ووقت طويل.

٢. مسح العينة:

يتم فيه دراسة بعض مفردات المجتمع ويراعى فى اختيارها أن تتوافر فيها جميع خصائص مجتمع البحث حتى يمكن تعميم النتائج على جميع أفراد المجتمع.

ثالثًا: التصنيف فى ضوء الفترة التى تجمع فيها البيانات:

يمكن تصنيف دراسات المسح الاجتماعى فى ضوء الفترة التى تجمع فيها البيانات إلى:

١ ـ جمع البيانات قبل البدء فى البرامج المختلفة (المسح القبلى).

٢ ـ جمع البيانات فى أثناء تنفيذ البرامج (المسح الدورى).

٣ ـ جمع البيانات بعد تنفيذ البرامج (المسح البعدى).

ما هى موضوعات المسح الاجتماعى؟

تتعدد موضوعات المسح الاجتماعى لتشمل معظم الظواهر والمشكلات الاجتماعية. ونذكر هنا على سبيل المثال ما يلى:

١ ـ دراسة الخصائص الديموجرافية أى السكانية لمجتمع ما.

٢ ـ دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والدينية والثقافية والسياسية لمجتمع ما.

٣ ـ دراسة اتجاهات الأفراد ودوافع سلوكهم.

ومن أنواع المسوحات الاجتماعية أيضًا ما يلى:

١. المسح الوصفى:

الذى يهدف إلى معرفة الصفات العامة للمجتمع والأماكن والمواقع لبعض الصفات السكانية والاجتماعية الاقتصادية، فالباحث الذى يستخدم هذا النوع من المسوحات لا يهتم بسبب وجود هذه الصفات الاجتماعية فى المجتمع بقدر ما يهتم بواقع صفات المجتمع وتحديد أماكنها الجغرافية.

٢. المسح الكشفى:

الذى ينطوى على كشف أسباب توزيع الصفات العامة والظواهر والحقائق داخل المجتمع. ويتركز هدف الباحث حول معرفة أسباب ظهور البطالة العمالية فى الشهر الفلانى والعام العلانى والمنطقة الفلانية مثلًا.

٣. المسح التشخيصى:

الذى ينطوى على تشخيص نوع علاقة متغيرات الظاهرة، أو المشكلة المدروسة لتشخيص أصالة أو عدم أصالة علاقة متغيرات الظاهرة بواسطة البحث عن المتغير المستقل والتابع (المعتمد)، وكشف أهمية الأول (المستقل ـ السبب) فى إحداث التابع (المعتمد) دخل الظاهرة المدروسة. ومن هنا جاءت تسميته بالمسح التشخيصى.

٤. المسح التتبعى:

إذ ينطوى هذا المسح على قياس ظاهرة واحدة عند الوحدات الاجتماعية، [كأن تكون فردًا، أو عائلة، أو جماعة، أو مجتمعًا محليًّا، أو فريقًا رياضيًّا، أو أحزابًا سياسية] فى فترات زمنية متعاقبة لا تقل عن فترتين زمنيتين متتاليتين لمعرفة مدى تكرار المعلومات المأخوذة، ودرجة تطابقها فى القياس الثانى مع نتائج القياس الأول لكى تتيح للباحث فرصة لتعميم نتائج بحثه.

٥. المسح التفصيلى:

الذى يخص حياة وحاجات ورغبات ومواقف المبحوثين التى لها علاقة بموضوع الدراسة التى تقام لمرة واحدة فقط، مثل معرفة حجم الأسرة، وتسلسل الأبناء داخل الأسرة، ودخل الفرد الشهرى أو السنوى، ومستواه الثقافى والتعليمى وعمره ومنطقته السكنية وصحته العامة، والأمراض الجسمانية التى أصيب بها سابقًا، وتقدمه الدراسى، وأنواع الوظائف التى قام بها. أى تغطية شاملة ومفصلة عن الفرد.

دراسات الرأى العام

تتعلق دراسات الرأى العام بتعبير الناس عن الرأى العام ومشاعرهم وأفكارهم ومعتقداتهم واتجاهاتهم نحو موضوع معين فى وقت معين، بحيث تبدو أحكامهم واضحة فى تصرفاتهم وتعليقاتهم ومواقفهم، وترتبط خطواتها بخطوات الدراسات الوصفية بشكل عام. وتحقق دراسات الرأى العام فوائد متعددة فى أكثر من مجال، وذلك أن هذه الدراسات:

ـ تساعد فى الحصول على المعلومات والبيانات الضرورية اللازمة لأية عملية تخطيط.

ـ التعريف بمواقف الناس واتجاهاتهم نحو الموضوعات التى يمكن أن يتناولها البحث.

ـ تقدم التوجيه للقادة والمسئولين فى مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ـ تعتبر قوة تصحيحية لأى مسار خاطئ قد يقع فيه المسئولين فى مؤسساتهم المختلفة.

تعريف دراسات الرأى العام:

يعرف الرأى العام بأنه تعبير الجماعة عن آرائها ومشاعرها وأفكارها ومعتقداتها واتجاهاتها نحو موضوع معين فى وقت معين.

فهو صوت الناس أو حكمهم أو قرارهم فى عمل ما أو موضوع ما.

ويعبر الناس عن الرأى العام بطريقة تلقائية ومواقفهم، كما قد يعبرون عنه بطريقة منظمة حين يطلب منهم ذلك من قبل الباحثين.

فوائد دراسات الرأى العام:

وفائدة دراسة الرأى العام هى أن دراسات الرأى العام من الدراسات الحيوية التى تحقق فوائد متعددة فى أكثر من مجال:

حيث إنها تساعدنا فى الحصول على المعلومات والبيانات الضرورية اللازمة لأية عملية تخطيط وتعرفنا بمواقف الناس واتجاهاتهم نحو الموضوعات التى ستتناولها عملية التخطيط.

وكذلك أنها تقدم التوجيه للقادة فى المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما تعتبر قوة تصحيحية يحسب لها القادة حسابات دقيقة.

خطوات دراسات الرأى العام وميادينها:

ماخطوات الدراسات المسحية المتعلقة بالرأى العام؟

تلتزم خطوات دراسة الرأى العام لخطوات المنهج العلمى ولكن طبيعة الرأى العام تجعل إمكانية قياسه عملية سهلة باستخدم الخطوات التالية:

ـ تحديد المشكلة التى سنطلب معرفة الرأى العام حولها.

ـ تحديد المجتمع الأصلى الذى سندرس رأيه أو تحديد العينة التى سنختارها للدراسة.

ـ تحديد أداة التعرف على الرأى العام.

ـ استخلاص النتائج وتنظيمها.

وعلى الرغم من بساطة هذه الخطوات فإن الباحث ينبغى أن يحسب حسابًا للمزالق التى قد يقع فيها وتؤثر على دقة الدراسة ومن هذه المزالق:

ـ أن تكون العينة غير ممثلة تمامًا للمجتمع الأصلى.

ـ أن تكون العينة بعيدة الصلة عن الموضوع الذى يدرسه الباحث.

ـ أن تكون الأسئلة الموجهة غير محددة وتنقصها الدقة والوضوح.

ومن هنا لا يجوز على سبيل المثال سؤال الرجال عن موقفهم تجاه عمل المرأة لنقول هذا هو الرأى العام لأن الرأى العام يتكون من الرجال والنساء ولا يجوز أن تسأل من العمال غير المثقفين عن اتجاهاتهم نحو حرب تدور فى بلد بعيد لم يسمعوا بها.

ويمكن إجراء دراسات الرأى العام باستخدام الأدوات التالية:

ـ الاستبيان: توجه الأسئلة عبر الاستبيان.

ـ المقابلة: توجه الأسئلة مباشرة لأفراد العينة.

ـ الاتصال الهاتفى: توجه الأسئلة لأفراد العينة عن طريق الهاتف.

ـ تحليل أساليب إسقاطية عن طريق إكمال جمل ناقصة أو تداعى الكلمات.

ـ تحليل الشائعات والنكات: حيث يعبر الرأى العام عن رأيه فى موضوعات معينة.

ما ميادين دراسة الرأى العام؟

تشمل دراسة الرأى العام كل ميادين الحياة حيث يمكن إجراء دراسات للتعرف على رأى الجمهور فى أية قضية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

دراسات تحليل العمل

هذا النوع من الدراسات المسحية يتناول العاملين فى مؤسسات معينة. ويقدم بيانات تتعلق بأعدادهم ومسئولياتهم وأنشطتهم وأوضاعهم وأجورهم والمهام الموكلة إليهم.

تعريف دراسات تحليل العمل:

يمكن تعريف دراسات تحليل العمل على النحو التالى: تتعلق دراسات تحليل العمل بدراسة المعلومات والمسئوليات المرتبطة بعمل معين، حيث يقدم وصفًا شاملًا عن الواجبات والمسئوليات والمهام المرتبطة بهذا العمل.

وتخدم المعرفة التحليلية لمكونات العمل عدة أهداف فهى تساعد القائمين على إدارة المدارس والباحثين فى النواحى الآتية:

أ ـ التعرف على نواحى الضعف والقصور فى الأعمال.

ب ـ تحديد تصنيفات موحدة للأعمال المتشابهة.

ج ـ تحديد أجور ومرتبات الأعمال التى تتطلب مستويات مختلفة من المهارة.

د ـ التعرف على الكفاءات عند اختيارها.

هـ ـ تعيين الموظفين فى الأعمال على نحو يحقق أفضل استخدام للقوى العاملة.

و ـ وضع برامج التدريب وإعداد المواد التعليمية للموظفين.

ز ـ تحديد مسوغات الترقية ومتطلباتها.

ح ـ اتخاذ قرارات متعلقة بنقل الموظفين من عمل إلى آخر.

ط ـ وضع أو تطوير الإطار النظرى لدراسة التكوينات والوظائف الإدارية.

ويشمل تحليل العمل ما يلى:

ـ تحديد تفصيلى لواجبات الوظيفة ومسئولياتها.

ـ مواصفات العامل الذى يشغل هذا العمل أو الوظيفة.

ويؤدى تحليل العمل إلى تقديم صورة وصفية عن العمل تشمل البنود التالية:

١ ـ تعريف العمل: يحدد فى هذا التعريف اسم الوظيفة، القسم الذى ترتبط به الوظيفة، والإدراة التى يرتبط بها الوظيفة.

٢ ـ ملخص العمل: يقدم هذا الملخص استكمالًا للتعرف يشمل وصفا مختصرًا للمهمة الأساسية لهذا العمل.

٣ ـ واجبات العمل: تحدد الواجبات المنوطة بهذه الوظيفة، وتكتب المهام المرتبطة بالعمل، ويحدد الوقت اللازم أو المدة الزمنية لممارسة كل مهمة. وهذه الخطوة يمكن أن يقوم بها العاملون أنفسهم حيث يستطيعون تقدير الزمن بدقة.

٤ ـ الإشراف: يحدد أسماء الوظائف والأعمال التى تلى هذه الوظيفة أو التى تسبقها ودرجة الإشراف التى تمارس على مَنْ يشغل الوظيفة، ودرجة الإشراف التى تمارسها هذه الوظيفة التابعة لها.

٥ ـ علاقة الوظيفة بالوظائف الأخرى: تحدد علاقات اتصال الوظيفة رأسيًّا وأفقيًّا بالوظائف الأخرى، كما تحدد الوظيفة الجديدة التى يمكن أن يرقى إليها شاغل هذه الوظيفة.

٦ ـ الأدوات والمواد والآلات التى تستخدم فى هذا العمل.

٧ ـ توضيح ظروف العمل فى هذه الوظيفة هل هو مكتبى، ميدانى؟
وهل يتم فى ظروف صحية سليمة؟

٨ ـ تعريف المصطلحات المهنية والفنية.

٩ ـ إضافة أية تعليقات يمكن أن تكون مفيدة، ويتطلب تحليل العمل وضع مواصفات لمن يستطيع إشغال هذا العمل من حيث مؤهلاته العلمية وخبرته الميدانية وخصائصه الشخصية.

ويمكن استخدام الأدوات التالية لتحليل العمل:

١. الملاحظة:

يقوم الباحث بزيارة عدد ممن يشغلون الوظيفة ويبقى مع كل منهم عددًا من الأيام للاطلاع على المهام التى يمارسها العاملون.

٢. الاستبيان:

يتضمن مجموعة من الأسئلة المرتبطة بالعمل.

٣. المقابلة:

وهى مقابلات مقننة لعينة من الأفراد الذين يشغلون العمل.

٤. دراسة السجلات اليومية التى يعدها العاملون عن نشاطاتهم.

٥. المقابلات الشخصية:

عن طريق دراسة آراء عدد من الرؤساء الذين يشرفون على هذه الوظيفة.

استخدامات تحليل العمل:

يسعى الباحثون إلى استخدام هذا النوع من الدراسات المسحية من أجل تحقيق الفوائد التالية.

١ ـ تحديد أسس اختيار العاملين للوظيفة التى تم تحليلها.

٢ ـ تنمية الموظفين العاملين فى هذه الوظيفة لرفع مستوى كفاياتهم الإدراية.

٣ ـ وضع أسس لترقية الموظفين ونقلهم.

٤ ـ تحديد الخصائص الشخصية لمن سيشغلون هذه الوظيفة.

٥ ـ تحديد أفضل الطرق لأداء العمل.

٦ ـ تحديد سليم للأجور والمرتبات فى ضوء مسئوليات الوظيفة ومهامها.

فوائد دراسات تحليل العمل:

وتحقق دراسات تحليل العمل الفوائد التالية:

١ ـ تحديد أسس اختيار العاملين للوظيفة التى تم تحليلها.

٢ ـ تنمية الموظفين العاملين فى هذه الوظيفة لرفع مستوى كفاياتهم الإدارية.

٣ ـ وضع أسس لترقية الموظفين ونقلهم.

٤ ـ تحديد الخصائص الشخصية لمن سيشغلون هذه الوظيفة.

٥ ـ تحديد أفضل الطرق لأداء العمل.

٦ ـ تحديد سليم للأجور والمرتبات فى ضوء مسئوليات الوظيفة ومهامها.

٧ ـ تحديد معايير الإنجاز المطلوب ممن يشغل هذه الوظيفة.

مقارنة بين البحوث المسحية وغيرها من البحوث

اختلاف أسلوب الدراسات المسحية عن أساليب الدراسات الأخرى يتضح فيما يلى:

ـ المسح يختلف عن الدراسة التاريخية؛ لأن المسح يتعلق بالوضع الراهن أو الواقع الحالى، بينما تعالج الدراسة التاريخية أوضاعًا سابقة أو واقعًا قديمًا.

ـ يتميز المسح عن التجريب أيضًا، فالمسح يتم فى الظروف الطبيعية حيث تدرس الأشياء والحوادث كما هى فى الطبيعة، بينما تتم الدراسات التجريبية فى ظروف اصطناعية أو فى المختبر، كما يختلف المسح عن التجريب من حيث الهدف، فالمسح يدرس الواقع كما هو بينما يهدف التجريب إلى التعريف على الأسباب المباشرة أو العوامل التى أدت إلى هذا الواقع.

ـ يختلف المسح عن دراسة الحالة فى المستوى والمجال، فدراسات الحالة هى دراسات أكثر تعمقًا ولكنها تتم فى مجال ضيق محدود، بينما تتصف الدراسات المسحية بأنها أكثر شمولًا فى مجالها أوسع نطاقًا وأقل عمقًا من دراسة الحالة.

ـ البحث المسحى يمكن تطبيقه على مجموعة واحدة ويمكن تطبيقه على مجموعتين، بينما البحث الارتباطى لا يطبق إلا على مجموعة واحدة. أما البحث السببى المقارن فلا بد من تطبيقه على مجموعتين.

ـ من حيث الأهداف: البحث المسحى يهدف أساسًا لوصف الواقع فقط ولا يتجاوزه إلى معرفة العلاقة أو استنتاج الأسباب، بينما البحث الارتباطى يهدف أساسًا لمعرفة العلاقة، والبحث السببى المقارن يهدف لاكتشاف الأسباب الكامنة وراء سلوك معين من خلال معطيات سابقة.

ـ البحث المسحى يتم بواسطة استجواب الأفراد بصورة مباشرة (المقابلة) أو بصورة غير مباشرة (الاستبيان)، بينما البحث الوثائقى يتم بواسطة استنتاج

الدلالات والبراهين على إجابة أسئلة البحث من الوثائق المنشورة وغير المنشورة، المكتوبة أو المصورة..... إلخ.

ـ البحث المسحى يختلف عن البحث التتبعى فالبحث المسحى لا يهدف إطلاقًا لمعرفة التغير الذى يحدث ويطرأ على استجابة أفراد العينة نتيجة لعامل الزمن ـ كما يتحقق فى البحث التتبعى ـ وإنما يهدف لوصف الواقع فقط. وهذا الاختلاف بين البحث المسحى، والبحث التتبعى أدى إلى فرق بين ثلاثة أنواع من المسح:

ـ مسح عام.

ـ مسح مستعرض

ـ مسح طولى.

فى البحث المسحى يطبق المسح العام الذى يتناول مجتمع البحث أو عينة كبيرة منه بهدف تشخيص واقعها ووصفه فقط.

أما المسح المستعرض، والمسح الطولى فهما يطبقان فى البحث التتبعى بغرض معرفة الأثر الذى يحدثه عامل الزمن من نمو أو تغير فى إجابات العينة حول الظاهرة المدروسة.

المميزات والعيوب فى البحث المسحى:

أولاً: المميزات:

ـ البحث المسحى أشبه ما يكون بالأساس لبقية أنواع البحوث فى المنهج الوصفى فالباحث المطبق للمنهج الارتباطى قد يحتاج إلى تطبيق البحث المسحى لوصف ذلك الواقع.

ـ يمتاز المنهج المسحى بقابلية التطبيق مع غيره من أنواع المنهج الوصفى، بالإضافة لإمكانية تطبيقه أسلوبًا للبحث وحده.

ـ سهولة تطبيقه وتعدد مجالات تطبيقه. فكما يمكن أن يطبق على أفراد، يمكن أن يطبق على مبانٍ، وثائق، حالات... إلخ.

ثانيًا: العيوب

ـ وجود لبس يرتبط دائما بالبحث المسحى ليس ناتجًا عن طبيعته، وإنما ناتج عن عدم وضوح مفهومه بسبب الاعتقاد أن هناك تداخل بين أهدافه مع أهداف الأنواع الأخرى لدى معظم الباحثين.

ـ عدم استطاعة الباحث التغلب على جوانب القصور التى ترتبط بالبحث المسحى مهما بذل فى سبيل ذلك من جهد.

ويمكن التقليل من عيوب البحث المسحى عن طريق اتباع الأساليب العلمية فى اختيار العينة، وتصميم أداة البحث.

ـ ذلك النوع من الدراسات ليس له نفس درجة المرونة التى تميز الدراسات الاستكشافية:

أ ـ فالإجراءات التى تستخدم فى الدراسات المسحية الوصفية يجب أن تكون مخططة تخطيطًا دقيقًا.

ب ـ نظرًا لأن الهدف من هذا النوع من الدراسات هو الحصول على معلومات كاملة ودقيقة، فإن تصميم البحث يجب أن يكون به استعدادات للوقاية من التحيز أكبر من تلك الموجودة فى الدراسات الاستكشافية.

ج ـ نظرًا لأن مقدار العمل المطلوب فى الدراسات الوصفية يكون كبيرًا، فإن الاهتمام بمشكلة اقتصادية الجهد المبذول فى البحث يعتبر على درجة كبيرة من الأهمية.

وهذه الاعتبارات الخاصة باقتصادية الجهد المبذول والوقاية من التحيز تدخل فى كل مرحلة من مراحل البحث: تحديد أهداف الدراسة، وتصميم أساليب تجميع البيانات، واختيار العينة، وتجميع البيانات، ومعالجة البيانات، وتحليل البيانات، وتفسير النتائج، وكتابة تقرير البحث.

د ـ هذا النوع من الدراسات لا يحدد لنا العلاقات بين المتغيرات ليس هدف ذلك النوع من الدراسات، ولكنه يزودنا فقط بمعلومات بدون محاولة شرحها وتفسيرها، فلو أن بحثًا وصفيًّا عن نتائج امتحانات الثانوية العامة أوضح لنا أن أداء التلاميذ فى مادة ما قد هبط فى عام ما عن العام السابق، فإن هذا البحث لا يزودنا بأسباب ذلك التغير الذى حدث فى تحصيل التلاميذ، ولو أننا أردنا أن نحصل على تفسيرات لهذه الظاهرة، فإن نوعًا آخر من الدراسات يكون مطلوبًا وهو الدراسات التفسيرية أو التعليلية.

ثانيًا : البحث الوثائقى

- تعريف البحث الوثائقى.
- متى يطبق البحث الوثائقى؟
- مجالات البحث الوثائقى.
- هدف البحث الوثائقى.
- كيف يطبق البحث الوثائقى؟
- العيوب والمميزات فى البحث الوثائقى.

ثانيًا: البحث الوثائقى

Historical/ Documental Research

تعريف المنهج الوثائقى:

هو الجمع المتأنى والدقيق للسجلات والوثائق المتوافرة ذات العلاقة بموضوع مشكلة البحث، ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث.

وهو المنهج البحثى الذى يطبق عن ما يراد إجابة سؤال عن الحاضر من خلال المصادر المعاصرة أساسية كانت أم ثانوية.

أمثلة للبحوث الوثائقية:

- اتجاهات عمل المرأة من خلال واقع عملها.
- لماذا ينتقل المدرس إلى العمل الإدارى فى المدرسة.

متى يطبق البحث الوثائقى؟

يطبق البحث الوثائقى لتحقيق واحد أو أكثر من الأهداف التالية:

- وصف الظاهرة.
- توضيح العلاقة ومقدارها بأدلة وبراهين وثائقية.
- استنتاج الأسباب الكامنة وراء سلوك معين.
- معرفة الأثر الذى يحدث بفعل عامل الزمن على استجابة أفراد العينة.

مجالات البحث (الوثائقى):

تقوم الدراسات الوثائقية بتحليل السجلات والوثائق الرسمية، والتقارير الصحفية، وتقارير شهود العيان فى حدث ما، والمصادر الشخصية كالرسائل والمفكرات واليوميات والتراجم والدراسات والكتابات التاريخية، والدراسات الوصفية، والكتابات الأدبية والفلسفية، والآثار المتبقية، وغير ذلك من وسائل الاتصال المتصلة بفترة زمنية محددة.

كيف يطبق البحث الوثائقى؟

تتشابه خطوات البحث الوثائقى مع خطوات المنهج التاريخى تمامًا، والفرق الوحيد بينهما أن خطوات البحث الوثائقى تطبق على مصادر معاصرة وحديثة أساسية وثانوية، بينما المنهج التاريخى فهى تطبق على مصادر تاريخية أساسية وثانوية، وتتحدد أهم خطوات البحث الوثائقى فى (تحديد مصادر البحث، وتقويمها خارجيًا وداخليًا، ومن ثم تفسيرها).

وبصورة أكثر دقة يتعين على الباحث عند تطبيقه لهذا النوع من البحوث اتباع الخطوات التالية:

أ. توضيح ماهية المشكلة المراد دراستها ويشتمل على:

- التمهيد للبحث.
- تعريف المشكلة وتحديد أسئلة البحث.
- فروض البحث.
- أهداف البحث.
- أهمية البحث.
- الإطار النظرى.

ـ قصور البحث.

ـ حدود البحث.

ـ مصطلحات البحث.

ب ـ مراجعة الدراسات السابقة:

والتى تناولت الموضوع أو أحد جوانبه وذلك لتوضيح مدى التشابه والاختلاف بينها وبين دراسته، وجوانب القوة والضعف فيها مؤكدًا دور البحث المقدم فى تلافى الضعف.

بعد هذا كله ـ يبدأ بتطبيق الخطوات التالية بالترتيب:

ـ **تحديد مصادر البحث الأساسية والثانوية**: وهذه المعلومات تساعد الباحث فى الإجابة عن أسئلة البحث.

ـ **تقويم مصادر البحث**: وذلك بهدف التأكد من صحة المصدر، وصحة محتوياته حتى يستخرج أدلة، وبراهين.

ـ **تحليل المعلومات**: يهدف الباحث من جمعه للمصادر ونقدها إلى الحصول على المعلومات الصحيحة تأليفًا ومحتوى حتى يستطيع أن يستخرج منها أدلة، وبراهين صحيحة يجيب بها عن أسئلة البحث. وتعتبر هذه المرحلة صلب العملية البحثية والتى لا بد وأن تشتمل على: مراجعة المعلومات وتبويبها وتفريغها وتحليلها ومن ثم تفسيرها.

جـ ـ ملخص البحث وعرض النتائج والتوصيات:

وهى مرحلة لا بد منها مع كل مناهج البحث. وهى تتلخص فى جمع أطراف موضوع البحث وذلك من خلال تناول الخطوات التالية: ملخص البحث ونتائجه وتوصيات الباحث وتوصيات لبحوث مستقبلية.

المميزات والعيوب فى المنهج الوثائقى:

أولاً: المميزات

ـ الشمولية فى بحث الظاهرة، فالباحث يصف الظاهرة ويوضح العلاقة ويستنتج الأسباب ذات الأثر.. فى آن واحد.

ـ تلافى جوانب القصور التى تعترض بعض أنواع المنهج الوصفى. فالباحث يستنتج أدلته وبراهينه من وثائق كتبت لا لغرض البحث، وإنما لتحقيق أغراض أخرى، وهذا يؤكد صدقها فى توضيح الحقيقة.

ـ عدم اعتماد المنهج الوثائقى على التحليل الكمى، وبالتالى يكون أسلوب هذا المنهج فى البحث أسلوب سهل التطبيق من جانب، ومرتبط بالواقع والحقيقة أكثر من جهة أخرى.

ثانيًا: العيوب

يتأثر المنهج الوثائقى بذاتية الباحث، سواء عند البحث عن المصادر، أو عند تقويمها ونقدها أو تحليلها. فقد لا يبحث إلا عن ما يراه مناسبًا من المصادر وقد يحكم على المصدر ومحتوياته من منظاره هو، وأخيرًا قد يغمض عينيه عن بعض الأدلة والحقائق التى لا تتفق مع رأيه.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا العيب لا يرتبط بالبحث الوثائقى فقط، بل يعد من قصور البحوث التى تتناول البحث فى الظاهرة الإنسانية. إلا أن التخفيف من هذا العيب بشكل كبير يكون من خلال التزام الباحث بمنهجية واضحة يدركها القارئ.

ثالثًا: البحث الحقلى

مفهوم البحث الحقلى وخصائصه.
أنواع الدراسات الحقلية.
الأسس التى يقوم عليها البحث الحقلى.
متى يطبق البحث الحقلى؟
كيف يطبق البحث الحقلى؟
مميزات وعيوب البحث الحقلى.

ثالثًا: البحث الحقلى

Field Rdsearch

احتل البحث الحقلى مكانة بارزة بين ميادين العلوم (التربية، الخدمة الاجتماعية، والعلاج النفسى) فى جمع البيانات، وهو من أقدم الوسائل التى استخدمت لوصف وتفسير الخبرات الشخصية والسلوك الاجتماعى للفرد منذ الستينات.

وهناك مسميات أخرى للبحث الحقلى هى: الكيفى، دراسة الحالة، الملاحظة بالمشاركة، البحث الإثنوجرافى، وجميعها مصطلحات مختلفة فى المسمى ومتفقة فى المضمون.

مفهوم البحث الحقلى وخصائصه:

البحث الحقلى هو ذلك النوع من البحوث التى يتم إجراؤه بواقع طبيعى غير متكلف، وبواسطة معايشة الباحث الفعلية (الملاحظة بالمشاركة) لجميع وقائع السلوك فى الحقل ودون أى نوع من الضبط المسبق أو قصر لمتغيرات بعينها دون الأخرى فى البحث.

ويؤكد هذا المفهوم على عدد من الخصائص التى يتصف بها البحث الحقلى وتميزه عن باقى أنواع المنهج الوصفى:

- **عدم التقنين** Non-Standardiz atian أى لا يخضع لضبط مسبق وإنما يهدف للاستفادة من كل معلومة تتم فى الحقل والتى تفرضها طبيعته الكيفية.
- **تعدد مصادر المعلومات**: فالباحث يستمد المعلومات من الملاحظة ومن الوثائق التى يجمعها، ومن المقابلات التى يجريها.... إلخ.

- **القدرة على اكتشاف الظاهرة الخفية:** Latent Phenomena وهى السلوك العفوى أو غير المقصود.

البحث الحقلى يطبق عندما يكون الهدف من البحث وصف الواقع كما هو تمامًا من خلال ملاحظة الباحث الناتجة عن مشاركته الفعلية للأنشطة والوقائع المختلفة التى تحدث فى الحقل.

وبهذا النوع من الملاحظة سوف يستطيع الباحث أن يصف الواقع وصفًا دقيقًا متكاملًا يمكن الوصول من خلاله إلى نتائج علمية دقيقة.

أنواع الدراسات الحقلية:

أ. الدراسات الحقلية الاستكشافية:

وهى دراسات تسعى إلى استكشاف العلاقات التى تنشأ بين متغيرات الظاهرة، دون طرح أى فرضيات حتى نهاية البحث؛ ومع أن هذا النوع من البحوث يعتمد على التحليل الكيفى إلا أنه يمكن أن يستخدم الأساليب الكمية عند وصف النتائج. وتهدف البحوث الاستكشافية إلى شرح مشكلة البحث، واكتشاف المتغيرات المهمة فى الظاهرة المدروسة وشرحها، واكتشاف العلاقات بين هذه المتغيرات، ووضع الأسس الافتراضية لدراسة الظاهرة.

ب. الدراسات الحقلية الوصفية:

وتعنى أن الباحث يقوم بملاحظة ظاهرة معينة، وجمع المعلومات عنها بحيث يستطيع إعطاء وصف دقيق لهذه الظاهرة من خلال ما تم تجميعه من معلومات كمية وكيفية، إلا أنه فى الغالب يتم تصميمها على أساس الأسلوب الكيفى الذى يستخدم فيه وصف الظاهرة دون أن تكون هناك حاجة إلى الأساليب الإحصائية الكمية.

ج. دراسات اختبار الفرضيات:

وهى بحوث تتطلب الاعتماد على بعض المناهج والمعايير الأولية التى تستخدم لدراسة الظاهرة قبل الوصول إلى مرحلة اختبار الفرضيات التى يتبناها الباحث.

كما أن موضوعات البحوث الحقلية متعددة، ولكنها تتناسب مع الموضوعات التى يمكن فهم الاتجاهات، والسلوكيات السائدة، فى واقعها الحقيقى وليس الاصطناعى، كما يتم فى البحوث التجريبية، والمسحية تمامًا.

الأسس التى يقوم عليها البحث الحقلى:

ـ المشاركة المتعمقة الهادفة وذات الأمد الطويل فى الحقل.

ـ التسجيل الدقيق لجميع ما يحدث فى الحقل بكتابة المذكرات، وجمع ما يمكن جمعه من أدلة وثائقية (السجلات، المذكرات الشخصية....).

ـ تحليل وتفسير الأدلة الوثائقية التى تم الحصول عليها فى الحقل، والمذكرات اليومية التى كتبت من جراء الملاحظة المستمرة، بغرض إعطاء وصف شامل ومفصل لما تمت ملاحظته.

متى يطبق البحث الحقلى؟

يطبق البحث الحقلى عندما يكون الهدف من البحث:

ـ معرفة ماذا يحدث فى الحقل.

ـ معرفة ماذا تعنى الوقائع الحادثة بالنسبة للأشخاص.

ـ معرفة المعانى المقصودة محليًّا فى الحقل لضروب السلوك المختلفة.

ـ معرفة هل هناك تناسب بين ما يحدث بالحقل وبين ما يحدث بالبيئة المحيطة به (المجتمع).

ـ معرفة كيفية الاختلاف فى عرض وتنظيم ما يحدث بالحقل عما يحدث فى مكان ووقت آخر.

كيف يطبق البحث الحقلى؟

يختلف تطبيق البحث الحقلى عن الأساليب الأخرى للبحث، ويمكن إجمال خطوات البحث الحقلى فى الخطوات التالية:

ـ تحديد المجال الذى سوف يتناوله البحث.

ـ تحديد حقل البحث.

ـ التهيئة للدخول فى الحقل من خلال التعرف على الحقل والعاملين فيه وإقامة علاقة ودية معهم، كذلك الإفصاح عن موضوع البحث وكيفية إجراؤه، وعن هوية الباحث لدى المسئولين فى الحقل ليتمكن من تطبيق ما يتطلبه البحث من إجراءات.

ـ تصميم البحث والذى يتطلب من الباحث أن يلجأ إلى اختيار عينات تمثل الأفراد، الوقت، المواقع، الظواهر... إلخ.

ـ جمع المعلومات والذى يتطلب من الباحث اتباع الآتى:

* الملاحظة الدقيقة والشاملة للأفراد.
* الاستماع لكل ما يفيد.
* الحوار والدخول فيما يمكن الدخول فيه من مناقشات، ومقابلة الأفراد.
* الحرص على انتقاء ما له صلة بالحقل.
* التسجيل الشامل لجميع ما يلاحظه الباحث أو يسمعه على أن يتم ذلك بشكل دقيق.

ـ تفريغ المعلومات من المذكرات الحقلية إلى معلومات بحثية.

ـ تحليل المعلومات بوصفها أولًا وصفًا شاملًا ومفصل لجميع ما تمت ملاحظته ومن ثم تحليلها تحليلًا كيفيًّا موضحًا الأدلة والبراهين التى يستدل بها على وصف أمر أو تشخيصه.

ـ سرد ما توصل إليه الباحث من نتائج استنتجها بعد فهمه الجديد للحقل نتيجة للمعايشة الفعلية لأنشطته ومع أفراده.

مميزات وعيوب البحث الحقلى:

أولاً: المميزات

ـ البحث الحقلى يعطى صورة كاملة للبيئة المدروسة نادرًا ما يعطيها أى أسلوب بحث آخر نظرًا لما يتطلبه من وقت طويل ومعايشة فعلية لتلك البيئة.

ـ يمكن بواسطة البحث الحقلى التوصل إلى فروض علمية فى غاية الدقة،

وكذلك إلى نتائج واقعية قد لا يتم التوصل إلى مثلها عند تطبيق الأساليب الأخرى؛ وذلك لأنها بنيت على معلومات حقيقية غير متكلفة ومن خلال ملاحظة الوقائع كما تقع تمامًا.

ـ تتميز نظرة الباحث فى البحث الحقلى بالشمولية لكل جوانب السلوك.

ثانيًا: العيوب

ـ يتطلب تطبيق البحث الحقلى نوع خاص من الباحثين مؤهلين تأهيلًا عاليًا فى تطبيق الملاحظة بالمشاركة وكذلك يتصفون بصفات شخصية تمكنهم من التعامل مع الناس مقبولين لدى أفراد الحقل، وهذه لا تتوافر فى كل باحث.

ـ لا يمكن تطبيق البحث الحقلى تطبيقًا صحيحًا إلا بالمعايشة الفعلية لكل ما يحدث فى الحقل من أحداث.

ـ الطبيعة الكيفية للمعلومات فى المذكرات اليومية الحقلية التى يتم جمعها بواسطة الملاحظة بالمشاركة تساهم فى صعوبة تفريغها إلى معلومات بحثية تحليلها وتفسيرها.

ـ الملاحظة أداة غير موضوعية كذلك لا يمكن التأكد من صدق تفسير الباحث، كما أن إمكانية التحيز فى توضيح الحقائق وتفسيرها من أهم العيوب فى هذا النوع.

ـ الباحث ذو قدرة محدودة فهو لا يستطيع رؤية كل شىء فى الحقل فيعتمد على ما رأى ويعممه أو يتجاهل ما لم يرَ.

ـ عندما ينضم الباحث للحقل قد يصبح عضوًا فعالًا فيه مما يؤدى إلى تعارض دوره هذا مع دوره بصفته باحثًا.

وأخيرًا، من مقارنة عيوب البحث الحقلى بمميزاته، يمكن القول أن البحث الحقلى يمكن تطبيقه على الوجه الأكمل إذا توافر الوقت الكافى لدى الباحث للقيام به، وهذا لا يأتى فى البحوث ذات الأجل المحدود مثل التى تجرى بغرض الحصول على درجة علمية مثلًا (ماجستير أو دكتوراه).

رابعًا : تحليل المحتوى (تحليل المضمون)

مفهوم أسلوب تحليل المضمون.
هدف تحليل المحتوى ومجالاته.
أنواع تحليل المحتوى.
خصائص تحليل المحتوى.
مستويات تحليل المحتوى.
استخدامات أسلوب تحليل المحتوى.
أغراض تحليل المحتوى.
خطوات دراسات تحليل المحتوى.
صعوبات دراسة تحليل المحتوى.
مزايا دراسات تحليل المضمون.
عيوب دراسات تحليل المضمون.

رابعًا: تحليل المحتوى

Content Analysis

يشبه أسلوب تحليل المحتوى البحث الوثائقى من حيث وحدة مصدر المعلومات، فالمعلومات فيهما تستخرج من مصدر واحد هو "الوثائق بمفهومها العام" ولكنهما يختلفان فى أسلوب التحليل مما جعل منهما طريقتان مختلفتان للبحث، كما أن هذا النوع من الدراسة يشبه بدرجة كبيرة البحث التاريخى، ووجه الاختلاف هو أن الثانى وثيق الصلة بالماضى فى حين أن الأول ينصب على قضايا الحاضر.

تحليل المضمون كما عرفه "بيرلسون" (١٩٥٢م) "عبارة عن طريقة بحث يتم تطبيقها من أجل الوصول إلى وصف كمى هادف ومنظم لمحتوى أسلوب الاتصال" مثل تحليل محتوى كتاب مدرسى لمعرفة مدى تكرار عدد من المفاهيم الواردة فيه. وهل يتناسق ذلك مع أهميتها أم لا؟

يعد هذا التعريف من أشمل التعريفات التى عرف بها تحليل المضمون.

وتعتبر عملية التحليل عملية ملازمة للفكر الإنسانى وتستهدف إدراك الأشياء والظاهرات بوضوح من خلال عزل عناصرها بعضها عن بعض، ومعرفة خصائص أو سمات هذه العناصر وطبيعة العلاقات التى تقوم بينها.

مفهوم أسلوب تحليل المحتوى:

يمكن النظر إلى تحليل المحتوى أو تحليل المضمون على أنه أسلوب أو أداة للبحث العلمى يمكن أن يستخدمه الباحثون فى مجالاته بحثية متنوعة. وعلى

الأخص فى علم الإعلام لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون، تلبية للاحتياجات البحثية المصاغة فى تساؤلات البحث أو فروضه الأساسية. طبقًا للتصنيفات الموضوعية التى يحددها الباحث بهدف استخدام هذه البيانات فيما بعد، وإما فى وصف هذه المواد الإعلامية التى تعكس السلوك الاتصالى العلنى للقائمين بالاتصال. أو لاكتشاف الخلفية الفكرية أو الثقافية أو السياسية أو العقائدية التى تنبع منها الرسالة الإعلامية، وللتعرف على مقاصد القائمين بالاتصال من خلال الكلمات والجمل والرموز والصور وكافة الأساليب التعبيرية شكلًا ومضمونًا. والتى يعبر بها الأفراد القائمون بالاتصال عن أفكارهم ومفاهيمهم وذلك بشرط أن تتم عملية التحليل بصورة منظمة، ووفق أسس منهجية ومعايير موضوعية، وأن يستند الباحث فى عملية جمع البيانات وتبويبها وتحليلها على الأسلوب الكمى بصفة أساسية.

وواضح من هذا المفهوم أن تحليل المحتوى ينبثق أساسًا فى حقيقته من مبدأ أن هناك جوانب متعددة لسلوك الإنسان لا يمكن معرفتها وتحديدها بواسطة استجوابه وإنما بواسطة ما يكتبه أو يرسمه أو يقوله.

واتصاف تحليل المحتوى لصفة التكميم جعل بعض العلماء لا يعدونه طريقة من طرق المنهج الوصفى ويرون أنه أسلوب للتحليل.

ويعتمد منهج تحليل المحتوى بشكل أساسى على تحويل المعلومات المكتوبة إلى أرقام حول الظواهر المختلفة التى تتم دراستها. فقد تعرف بأنها "طريقة تصف بشكل منظم شكل ومحتوى المواد المكتوبة أو المسموعة". أو على أنها "طريقة موضعية ومنظمة لوصف محتوى مواد الاتصال بشكل كمى"، إن استخدام هذا المنهج وتطويره تم لتسهيل عملية دراسة الوثائق العامة والخاصة، لذا نلاحظ استخدامه أيضًا لتحليل أى مادة مكتوبة أو مسموعة سواء كانت سجلات أو رسائل أو غيرها.

ويركز هذا المنهج على وحدات بحث غير إنسانية بخلاف مناهج البحث الأخرى، من حيث إن وحدات البحث تكون عبارة عن كلمات فى صفحة أو كتاب أو مقطع. ويمكن التمثيل لهذا النوع بوصف واقع كتاب مدرسى لمعرفة سهولة قراءته أو نوعية النشاطات العقلية التى يستخدمها، حيث يلجأ الباحث إلى اختيار مجموعة من كتب مستوى معين من الفصول أو عدد من الصفحات ومن ثم تطبيق أسلوب معين لتحليل المحتوى، وبعد تنظيم البيانات وتحليلها يتم التوصل إلى نتائج ترتبط بالأسئلة المطروحة.

وقد يستخدم فى الدراسات النفسية عند تحليل استجابات أفراد عينة البحث على بعض الأسئله المفتوحة فى الاستبيانات أو المقابلات المفتوحة.

ويستخدم مصطلح تحليل المضمون للإشارة إلى نماذج متفرعة من الطرق البحثية وهى تركز على عملية وصف كمى منظم وموضوعى لبعض أنماط الاتصال. فهو إذن الوسيلة الأساسية لدراسة عملية الاتصال فى معناها والأسس التى تقوم عليها وديناميانها كما تجسد فى أحاديث الناس وفى كتاباتهم وفى نسق المعانى المتبادلة بينهم، وعلى الرغم من أن تحليل المضمون لا يمثل طريقة للبحث قائمة بذاتها إلا أنه يخالف أكثر الأساليب والطرق الأخرى من ناحيتين أساسيتين:

١ ـ إن البيانات التى يعتمد عليها تحليل المضمون هى الألفاظ والرموز الأخرى التى يتألف منها مضمون الاتصال وذلك عكس البيانات الرقمية والإحصائية فهى تشمل مثلًا الخطابات والرسائل والكتب والمحادثات وبرامج التليفزيزن والإذاعة والعروض المسرحية والقصص والروايات والحكايات الشعبية وغيرها.

٢ ـ إن الإجراءات المستخدمة فى دراسات تحليل المضمون تختلف عن إجراءات البحوث التاريخية من حيث إنها تسعى إلى أن تكون دقيقة ومضبوطة بحيث تقلل من احتمالات الخطأ والتحيز وتتبع خطة محكمة ومنظمة فى معالجة البيانات وتصنيفها والتعبير عنها كما فى مراحل قياس المفاهيم المدروسة وفحص العلاقات

المتبادلة بينها. وفى ضوء هذه الاعتبارات تتفرع إجراءات تحليل المضمون وتختلف أهداف هذه البحوث من حيث درجة عموميتها، فبعض البحوث تكتفى بتحليل مضمون بعض وسائل الإعلان والدعاية وبعضها الآخر يهتم بتفسير ظواهر الصراع الدولى والوفاق العالمى، وتهدف بحوث أخرى إلى دراسة مضمون التراث الشعبى فى مرحلة تاريخية معينة وتسعى طائفة أخرى من هذه الدراسات إلى بحث أنماط التغير فى القيم الاجتماعية خلال بضعة قرون، وهناك نموذج آخر من هذه البحوث يدرس السمات النفسية للقادة العظام الذين عرفهم التاريخ الإنسانى، وليست هناك فى الغالب نظرية عامة للاتصال تنطلق منها كل هذه الأنواع من البحوث إنما يبدأ كل بحث عادة بإطار تصورى ومجموعة من الأفكار والافتراضات تتعلق بطبيعة نسق الاتصال الذى يقوم بدراسته.

هدف تحليل المحتوى ومجالاته:

يهدف تحليل المحتوى إلى عزل خصائص وسمات المحتوى عن بعضها؛ ليمكن وصفها بوضوح واكتشاف العلاقة بينها وبين بعضها البعض أو بينها وبين عناصر أخرى ترتبط بها.

مجالات تحليل المحتوى:

يطبق تحليل المحتوى عند الحاجة لتحقيق الأغراض التالية:

١ ـ الوصف الكمى للظاهرة المدروسة.

٢ ـ المقارنة.

٣ ـ التقويم.

أنواع تحليل المضمون:

ـ تحليل المضمون المادى للمحتوى.

ـ تحليل المضمون الهيكلى.

وسوف نتحدث بشىء من التفصيل عن هذه الأنواع خلال العرض التالى:

أولاً: تحليل المضمون المادى للمحتوى

يركز هذا النوع من تحليل المحتوى على تحليل مضمون محتوى وسيلة الاتصال وقد تكون وحدة التحليل المستخدمة فى هذا الصدد الكلمة (Word) أو الفكرة الأساسية (Theme) أو المفردة (Item).

أ. استخدام الكلمة كوحدة تحليل

يعتبر استخدام الكلمة كوحدة للتحليل أكثر سهولة من استخدام الفكرة الأساسية Theme، ويتطلب استخدام الكلمة فقط حساب تكرار الكلمات المستهدفة بالدراسة والتى ترد فى نص وسيلة الاتصال. وعادة ما يأخذ الباحث فى الاعتبار معنى الكلمة فى سياق النص، وتكرار الكلمات موضع الدراسة بالنسبة للعدد الكلى، الكلمات الواردة فى نص وسيلة الاتصال كنسب مئوية.

ب. استخدام الفكرة الأساسية كوحدة للتحليل:

يقصد باستخدام الفكرة الأساسية Theme كوحدة تحليل، رصد وحصر الكلمات التى توضح المضمون الذى من أجله استخدمت أو توحى الكلمات بمعانى ذات علاقة بالمضمون المستهدف من قبل كاتب الوسيلة، وتكمن صعوبة هذا الأسلوب فى أن الفكرة الأساسية ربما ترد فى نص الرسالة الاتصالية بطرق مختلفة من الكلمات أو ربما تكون الإشارة إلى بعض الأفكار الواردة فى النص المستهدف بالتحليل ضمنيه يصعب تحديدها فى كلمات معينة بل تؤخذ من سياق النص الكامل.

ج. استخدام المفردة Item كوحدة تحليل:

يقصد بها المضمون الكلى للكتاب، الموضوع، الخطاب، الوثيقة، البرنامج، الفيلم، الأغنية، المسرحية، الإعلانات أو الرسوم المتحركة. ويعتمد أسلوب استخدام المفردة كوحدة تحليل على تلخيص أو اختصار ما جاء فى وسيلة الاتصال، أو أن يقوم الباحث بتقسيم المفردة إلى عدة مجموعات بحيث تضم كل مجموعة موضوعًا أو موضوعات معينة لصيقة ببعضها، كأن يقسم مثلًا الأخبار إلى

موضوعات سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها. ويؤخذ على أسلوب الاختصار أو التقسيم الحد من مقدرة استخدام المفردة كوحدة تحليل فى تحقيق درجة عالية من الدقة مثل تلك التى يمكن تحقيقها عن طريق استخدام الكلمة أو الفكرة الأساسية Theme فضلًا عن عدم قابلية المفردة للقياس الكمى. ويتوقف اختيار وحدة التحليل (الكلمة أو الفكرة الأساسية أو المفردة) أو الثلاثة معًا على موضوع البحث وتساؤلاته الرئيسة.

ثانيًا: تحليل المضمون الهيكلى

يركز هذا النوع من تحليل المحتوى على أسلوب عرض وسيلة الاتصال فبالإضافة إلى استخدم الكلمات أو الأفكار الأساسية أو المفردات التى تدل على مضامين وسيلة الاتصال يلجأ الباحث إلى استخدام وحدات أخرى تتعلق بالشكل الظاهرى لتحليل مضمون هيكل وسيلة الاتصال. فمثلًا أن ينظر الباحث للمساحة أو الحيز الذى تشغله المادة المكتوبة سواء فى الصحف أو الكتب أو غيرها، وتشمل المساحة الصفحة وتقسيماتها المختلفة أو مساحة مادة الاتصال فى الصحف أو المجلات، أو أن يضع الباحث فى الاعتبار عامل الوقت سواء كانت طبيعة الوسيلة مسموعة أو مرئية مسموعة كما فى حالات المواد السينمائية والتليفزيونية أو الإذاعة. ويعبر عن وحدة الزمن كنسبة زمنية من الساعة أو الدقيقة.

ويعتبر الإعداد والتخطيط لاستخدام تحليل المضمون الهيكلى أسهل من حيث التنفيذ والتكلفة من تحليل المحتوى الذى يركز على مضمون وسيلة الاتصال، ويتسم فى ذات الوقت بتحقيق نتائج أكثر ثباتًا ومصداقية من تلك التى يمكن الحصول عليها عن طريق استخدام الكلمة أو الفكرة الأساسية أو المفردة؛ ذلك لأن النتائج التى يقدمها التحليل الهيكلى تختص بالشكل الظاهرى لوسيلة الاتصال ومدلولاته. وتلعب فروض البحث وأهدافه دورًا أساسيًّا فى اختيار وتخطيط نوع تحليل المحتوى الهيكلى المطلوب.

لا يعنى هذا التقسيم أن الباحث مقيد باختيار وحدة بعينها، فربما يلجأ إلى استخدام وحدتين أو أكثر حسب متطلبات البحث، أو أن يستخدم تحليل المضمون المادى للمحتوى وتحليل المضمون الهيكلى معًا. المهم فى الأمر أن تكون الأسس والمعايير التى على ضوئها تم اختيار الوحدات واضحة ومحددة. وأن يستخدم القياس الكمى لتحديد نتائج التحليل وأن يكون تفسير وشرح المعلومات منتظمًا ومتماسكًا ومتسقًا مع دلالات وحدات التحليل.

خصائص تحليل المحتوى:

١ ـ إن تحليل المحتوى لا يجرى بغرض الحصر الكمى لوحدة التحليل فقط وإنما يتعداه لمحاولة تحقيق هدف معين.

٢ ـ إن تحليل المحتوى يقتصر على وصف الظاهر وما قاله الإنسان أو كتبه صراحة دون اللجوء إلى تأويله.

٣ ـ إنه لم يحدد أسلوب اتصال دون غيره ولكن يمكن للباحث أن يطبق تحليل المحتوى على أية مادة اتصال مكتوبة أو مصورة (إعلانات خطب، كتب أو سجلات... إلخ).

٤ ـ إن تحليل المحتوى يعتمد على الرصد التكرارى المنظم لوحدة التحليل المختارة سواء كانت كلمة أو موضوع أو مفردة أو وحدة قياس، أو سؤال مفتوح.

ومن الخصائص التى يتميز بها تحليل المحتوى بمفهومه الحديث أيضًا ما يلى:

١ ـ تحليل المحتوى أداة من أدوات البحث العلمى يقوم على الوصف الموضوعى بغرض تفسير الظاهرة محل الدراسة، ويهدف إلى دراسة وتحليل الكلمة المكتوبة أو المقروءة أو المسموعة أو المادة المرئية من منظور الشكل والمضمون كما يهتم بتحليل المعانى الواضحة التى تنقلها الرموز المستخدمة فى النص.

٢ ـ أنه أسلوب موضوعى والموضوعية تعنى هنا التركيز على دراسة وتحليل الظاهرة محل البحث دون التأثر بالعوامل والمفاهيم الذاتية للباحث. بمعنى

أنـه يجب على الباحث أن يتوخى الحياد ويلتزم. بمتطلبات البحث العلمى السليم.

٣ ـ أنه أسلوب منظم: ويقصد به إجراء الدراسة حسب خطة علمية واضحة تستند على الملاحظة الدقيقة ووضع الفروض البحثية وتعريف المادة المستهدفة بالدراسة واختيار العينة وتحديد وحدات التحليل وتصنيف الفئات وتحليل المعلومات والبيانات المتحصل عليها بغرض التحقق من صحة الفروض للوصول إلى استنتاجات محددة.

٤ ـ أنه أسلوب كمى بمعنى أن طرق جمع المعلومات وأدوات القياس صادقة وثابتة.

٥ ـ أن أسلوب تحليل المحتوى لا يقتصر على الناحية الكمية، بل يتعدى الوصف الظاهرى إلى الوصول لجوهر المادة وتحليلها من الناحية الكمية والكيفية.

ومن خلال ذلك يمكن القول: أن تحليل المحتوى هو أسلوب موضوعى للحكم الكمى والكيفى فى آن واحد، ويساهم فى اتخاذ القرار المناسب، كما أنه يساعد فى تحقيق أهداف البحث العلمى الذى يعنى بالدراسة فى هذا المجال.

مستويات تحليل المحتوى:

لعل من الضرورى أن نفرق بين مستويين من تحليل المحتوى وهما: التحليل على المستوى الظاهرى، والتحليل على المستوى الأعمق.

ويقصد بالتحليل على المستوى الظاهرى معالجة الردود والإجابات من منطوقها اللفظى كما وردت على لسان صاحبها.

أما التحليل على المستوى الأعمق فهو يذهب أبعد من مجرد الاستجابات اللفظية إلى محاولة التعمق فى معانيها، وفيما وراء ألفاظها، وقراءة ما بين السطور، وهنا يتدخل الباحث برأيه فيما يشعر به من الدوافع الكامنة وراء الإجابات، ويحاول أن يستنتج ما يقصد صاحب الاستجابة.

استخدامات أسلوب تحليل المضمون:

شهدت دراسات تحليل المضمون تطورًا واضحًا فى مجالات تطبيقها فى ميادين العلوم الاجتماعية وقد اتضح ذلك من أعمال المؤتمر الذى خصص لبحث طريقة تحليل المضمون عام ١٩٥٩ ومن أهم هذه المجالات ما يلى:

أ. دراسة عملية التفاعل:

لقد طور "روبرت بلز" وزملاؤه إحدى طرق مضمون الاتصال داخل الجماعات الصغيرة إذ يقوم الملاحظون بطريقة غير مباشرة بتسجيل التصرفات والأفعال التى تصدر عن أفراد الجماعات الصغيرة فى أثناء قيامها بحل هذه المشكلات وحدد "بلز" ١٢ فئة لتصنيف التفاعل تكشف عن التضامن والتوتر والاسترخاء والموافقة والاقتراع.... إلخ، بحيث يستطيع من خلال هذه الفئات أن يخلص إلى بعض التعميمات حول أنماط التفاعل فى الجماعات الصغيرة ساعدته فى الكشف عن طبيعة بناء هذه الجماعات وديناميتها وأساليب القيادة فيها وصلة ذلك بعملية الاتصال.

ب. الدراسات العلاجية:

أُستخدم تحليل مضمون التفاعل بعد تسجيله فى العمليات العلاجية فى مجالات الخدمة الاجتماعية والطب النفسى حيث وضعت فئات لتحليل السلوك فى ضوء مبادئ علم النفس لتتبع العلاقة بين العميل والمعالج خلال عملية المعالجة حيث لوحظ أن هذه العلاقة تتغير فى مضمونها الأساسى خلال الزمن أو اختلاف طرق العلاج. وقد طبقت فئات "روبرت بلز" وكذلك الفئات التى طورها كل من "جون" و"مولر" فى تحديد معدلات التوتر والألم والإشباع والراحة إلخ. كما طبقت طريقة تحليل المضمون أيضًا فى اليابان على الخطابات المتبادلة بين بعض الأفراد الذين يطلبون المشورة فى مشكلات الحياة من الأبواب المخصصة لذلك بالصحف والمجلات للكشف عن نوعية هذه المشكلات.

ج. الحالة النفسية لصاحب الرسالة:

حاولت بعض الدراسات تحليل بعض الرسائل المختلفة التى تصدر عن بعض الأفراد كدليل للدوافع الداخلية عندهم ومن بين هذه الدراسات دراسة "أسجود، ألكس" (١٩٥٩) عن الخطابات التى حررها بعض الأفراد الذين أقدموا على الانتحار وحاولا أن يحللا بناء هذه الرسائل ويكشفا عن الفروق بينها وبين غيرها من الخطابات واستعانا فى ذلك بعدد كبير من المقاييس التى استخدمت فى التحليل وعقد المقارنات، ومن هذه المقاييس حصر الكلمات والعبارات وتحديد الأفعال والصفات وصيغ التأكد والحالات المعبرة عن التناقض الوجدانى، وقد استطاع العالمان أن يخلصا باستخدام هذه الطريقة إلى عدد من النتائج العامة فى هذا المجال.

د. الدراسات الشخصية التاريخية:

أُستخدم تحليل المضمون استخدامًا مفيدًا فى دراسات المؤرخين عن الشخصيات التاريخية الكبرى التى عرفها التاريخ من خلال تحليل مضمون كتاباتهم وأقوالهم غير أن استخدام طريقة تحليل المضمون فى دراسة الدوافع والحالات النفسية والاتجاهات المختلفة لدى الشخصيات التاريخية لم يحظَ بنفس الدرجة من الاهتمام.

أغراض تحليل المحتوى:

١- الوصف الكمى للظاهرة المدروسة: كأن يكون الهدف من البحث الوصف من خلال الرصد التكرارى لوحدة التحليل المختارة.

٢- المقارنة: كأن تجرى الدراسة بغرض مقارنة مدى تكرار ظاهرة معينة بظاهرة أخرى. فمثلًا قد يكون الهدف من البحث معرفة مدى اهتمام طلاب المرحلة المتوسطة بقراءة الكتب العلمية بالمقارنة إلى مدى اهتمامهم بقراءة الكتب الأدبية من خلال الحصر التكرارى لسجلات الإعارة من المكتبات المدرسية.

٣- التقويم: فقد يجرى الباحث دراسة تهدف للوصول إلى إصدار حكم معين على الاتجاه الغالب حول قضية معينة فى مصدر المعلومات، كأن يكون صحيفة يومية.

وقد تستخدم الأهداف التالية من خلال المحتوى كأمثلة على دراسات فعلية مشار إليها كأمثلة توضيحية:

١ ـ لوصف ممارسات أو ظروف سائدة. "متطلبات دخول كليات أوهايو".

٢ ـ لاكتشاف الأهمية النسبية أو الاهتمام بموضوعات أو مشكلات معينة (المعلومات العامة عن التعليم).

٣ ـ لاكتشاف مستوى الصعوبة المتمثلة فى الكتب المدرسية.

٤ ـ لتقييم التحيز أو التعصب أو الدعاية فى تقديم الكتب المدرسية.

٥ ـ لتحليل أنماط الأخطاء فى عمل الطلاب: (الأخطاء الشائعة فى مادة من المواد الدراسية).

٦ ـ لتحليل استخدام الرموز التى تمثل الأشخاص.

٧ ـ لتعيين الأسلوب الأدبى، والمفاهيم. (تفسير جون ديوى للتعليم كعملية نمو).

خطوات دراسات تحليل المحتوى:

كما هو الحال بالنسبة لأى منهج فإن أول خطوة إجرائية تتخذ لإعداد دراسة تستخدم منهج تحليل المحتوى تتضمن الآتى:

أولاً: تحديد المشكلة

وتحديد الأهداف الخاصة التى ينبغى أن يحققها عن طريق:

ـ صياغة تساؤلات البحث وبناء وتأسيس الفروض للفحص والاختبار، فأسلوب تحليل المحتوى عادة يهدف إلى إعطاء معلومات وصفية متكاملة عن الموضوع قيد الدراسة أو أن يوظف لدحض أو قبول فروض بحثية موضوعة.

ـ اختبار الفروض البحثية استنادًا على معلومات وبيانات تم جمعها.

ـ تعريف مجتمع البحث وتصميم واختيار العينة الممثلة له.

وبما أن تحليل المحتوى يستهدف مضمون وهيكل مادة الاتصال والتواصل فإن

أى شىء يرتبط بالظاهرة أو الموضوع قيد الدراسة يمكن اعتباره مصدرًا أساسيًّا للمعلومات المطلوبة. عمومًا يتحتم على الباحث أن يكون حصيفًا وحاذقًا فى تحديد المادة (الخامة البحثية) التى يتطلبها موضوع بحثه.

- بعد حصر وتعريف المادة البحثية المستهدفة بالدراسة يجب على الباحث أن يثبت أن هناك علاقة ارتباطية تطبيقية بين الخامة البحثية والاستدلالات التى يخطط لإجرائها استنادًا على هذه المادة.. بمعنى آخر يجب على الباحث أن يوضح الأشياء والأسس المنطقية التى تدلل عن أن تحليل المحتوى هو الأسلوب الأمثل والمناسب لتحقيق أهداف بحثه وفحص فروضه.
- أن يعمل الباحث على إعداد بحثه وكتابة الأطر النظرية والمفاهيم والتركيبات الفكرية التى تختص بالموضوع قيد الدراسة وعرض وتحليل الدراسة السابقة التى استخدمت نفس المنهجية والتعرض لوجهات نظر الخبراء والمختصين التى تدعم وتؤكد العلاقة بين المادة البحثية المستهدفة وأهداف الدراسة.

ثانيًا: تصميم واختيار العينة

المرحلة التالية فى تخطيط تحليل المحتوى تتضمن وضع خطة واضحة ومحددة لأخذ عينة ممثلة من المجتمع الذى تم حصره وتعريفه، ومن أهم المشكلات التى تصاحب منهجية تحليل المحتوى هى عدم حيادية البحث ما لم يستخدم الباحث أساليب مقنعة ومضبوطة ومنتظمة فى اختيار عينة محتوى وسائل الاتصال التى يريد إخضاعها للدراسة. تفاديًا لهذه المشكلة نجد كثيرًا من دراسات تحليل المحتوى تحرص على دراسة كل مادة الاتصال التى ترتبط ارتباطًا مباشرًا ووثيقًا بالظاهرة أو الموضوع محل الدراسة.

أما فى حالات تحليل المحتوى الذى يستهدف دراسة موضوعات معينة مأخوذة من مجتمع بحثى واسع يصعب تغطيته تغطية كاملة فلا بد من وضع معايير وأسس

محددة يتم على ضوئها اختيار عينة من ذلك المجتمع تحقق مستوى مقبولًا من التمثيل الاحتمالى. هذه الأسس والمعايير لا تختلف كثيرًا عن تلك التى تستخدم فى اختيار العينات الاحتمالية سوى أن العينة فى تحليل المحتوى تسمى عينة موضوعية؛ لأنها تختص بمضمون مادة الاتصال وليس الفرد.

ثالثًا: جمع وتحليل المعلومات: وذلك باتباع الخطوات التالية:

١ ـ تصنيف المحتويات: من أهم خطوات تحليل المحتوى؛ لأنه عبارة عن انعكاس مباشر للمشكلة المراد دراستها، وتجدر الإشارة إلى أنه ليس هناك تحديد للتصنيف، بمعنى أنه قد يكتفى بصنف واحد أو صنفين أو بأكثر على حسب ما تحدده طبيعة المشكلة محل الدراسة. ونظرًا لأهمية التصنيف فى تحليل المحتوى فقد حُدد عدد من الأسس التى ينبغى أن تبنى عليها معايير التصنيف وفئاته والتى تعتبر من مقتضيات طبيعة المشكلة، فمن معايير التصنيف: الإطار النظرى لمشكلة البحث ـ حدود ما يثيره البحث من تساؤلات، أو فروض علمية ـ إطار النتائج المستهدفة من البحث. أما فيما يتعلق بفئات التصنيف فالشروط الواجب توافرها فيها: أن تكون مستقلة وشاملة ووافية باحتياجات الدراسة وأهدافها.

٢ ـ تحديد وحدات التحليل وهى:

ـ الكلمة: كأن يقوم الباحث بحصر كمى للفظ معين له دلالته الفكرية، أو السياسية، أو التربوية.. إلخ.

ـ الموضوع: وهو إما جملة أو أكثر تؤكد مفهومًا معينًا سياسيًّا أو اجتماعيًّا أو تربويًّا أو اقتصاديًّا.. إلخ.

ـ الشخصية: ويقصد بها الحصر الكمى لخصائص وسمات محددة ترسم شخصية معينة. وذلك لتحقيق غرض معين. ويمكن استخدام الشخصية وحدة للتحليل من خلال الأسلوبين:

أ ـ الأسلوب المباشر: يقوم الباحث بحصر كمى للسمات المميزة التى تصف الشخصية المعلنة فى المصدر.

ب ـ الأسلوب غير المباشر: يقوم الباحث بحصر كمى للسمات المميزة التى تصف الشخصية غير المعلنة فى المصدر.

ـ المفردة: وهى الوحدة التى يستخدمها المصدر فى نقل المعانى والأفكار.. ومنها الكتاب، والفيلم..

ـ الوحدة القياسية: أو الزمنية. كأن يقوم الباحث بحصر كمى لطول المقال، أو عدد صفحاته، أو مقاطعه أو حصر كمى لمدة النقاش فيه عبر وسائل الإعلام المسموعة أو المرئية.

رابعًا: تصميم استمارة التحليل

وهى التى يصممها الباحث ليفرغ فيها محتوى كل مصدر، والتى تحتوى على الأقسام التالية: البيانات الأولية الخاصة بوثيقة التحليل كاسم الصحيفة ونوعها والسنة التى طبقت فيها الدراسة.. إلخ، وفئات المحتوى، ووحدات المحتوى، والملاحظات.

واستمارة التحليل أشبه ما تكون ببطاقة تسجيل المعلومات التى يصممها الباحث لتسجيل المعلومات من كل دراسة على حدة.

إذن بعد تحديد وحدات التحليل والفئات يقوم الباحث بإعداد استمارة التحليل فى شكلها المبدئى وبالضرورة عرضها على مجموعة محكمين للاستنارة بآرائهم لإزالة اللبس والغموض أو إجراء بعض التعديلات عليها. كما يمكن أن يقوم بتجريبها على عينة محدودة التى سوف يخضعها للتحليل بغرض التأكد من صدق وثبات الاستمارة وصلاحيتها للاستخدام.

بعد إعداد الاستمارة فى صورتها النهائية يقوم الباحث بعملية الترميز شخصيًا أو يستعين بأفراد مساعدين له كمرمزين، شريطة أن يقوم بتدريبهم وزيادة التفاعل بينهم عبر المناقشة والتوضيح لما هو مطلوب منهم. وأن يضع لهم ضوابط وقوانين واضحة ومحددة لكيفية إجراء الترميز تقرب من درجة الإتقان بينهم حتى يمكن الثقة فى النتائج التى يسفر عنها استخدام تحليل المضمون.

وجداول التفريغ تتعدد بتعدد تساؤلات البحث أو أهدافه ويفرغ فيها الباحث المعلومات من استمارة التحليل تفريغًا كميًّا.

خامسًا: التحليل الإحصائى

الخطوة الأخيرة فى تخطيط تحليل المحتوى هى طريقة التحليل الإحصائى الذى يمكن أن تستخدم، وتحليل المحتوى مثله ومثل البحوث الأخرى يتطلب قدرًا من الإحصاء لتلخيص البيانات والمساعدة فى تأويلها وتفسيرها؛ وأكثر طرق الإحصاء المستخدمة فى تحليل المحتوى حتى الآن هى استخدام التكرارات، والنسب المئوية. وفى بعض الأحيان يستخدم الإحصاء الوصفى، لإجراء بعض المقارنات بين أحداث ووقائع معينة.

استخدام الحاسب الآلى فى تحليل المضمون:

لقد أدى استخدام الحاسبات الإلكترونية إلى تحديث وتطوير أساليب تحليل المحتوى من خلال تجهيز ومعالجة العديد من العمليات الضرورية، للتحليل الكمى للنصوص والوثائق بطريقة أكثر سرعة وإتقانا. فمثلًا فى عمليات حساب تكرار الكلمات والأفكار الأساسية الواردة فى النص وتصنيف وتبويب معلومات معينة حسب نظام تصنيف معد ومبرمج مسبقًا، أصبح الكمبيوتر أكثر فاعلية وسرعة ودقة من طريق العد والتصنيف اليدوى. أيضًا لقد أوشك التقدم التكنولوجى من الوصول إلى استخدام ما يسمى بنظام القارئ البصرى، والذى من خلاله يمكن تحويل الأعمال الكاملة لأى مؤلف أو كاتب من شكلها الطباعى الموجودة فيه إلى الكمبيوتر مباشرة دون الحاجة إلى المشاركة العملية من قبل الإنسان.

وتظل المشكلة الأساسية التى تواجه الباحث عند استخدام الكمبيوتر فى تحليل المحتوى هو الحاجة إلى برنامج دقيق ومفصل يحل محل الإرشادات والضوابط التى يحددها الباحث قبل القيام بعملية الترميز. هذا ولقد ظهرت عدة برامج كمبيوتر صممت خصيصًا لتحليل المحتوى ولها القدرة فى تحقيق الآتى:

ـ التمثيل المنتظم للكلمات والعبارات التى يحددها الباحث.
ـ حساب تكرار الكلمات والجمل والعبارات.
ـ إعداد وطباعة الجداول والرسوم البيانية وإجراء التحليل الإحصائى.
ـ فرز أنواع الجمل والعبارات وإعادة تصنيفها طبقًا لنظام التصنيف المعد لذلك.

ويتم التحليل باستخدام أسلوب تحليل المحتوى وفقًا للإجراءات التالية أيضًا.. وذلك كما ورد فى بعض المراجع:

أولاً: الهدف من التحليل

حدد بيرلسون عدة مجالات رئيسة لاستخدامات تحليل المحتوى من بينها:

١ ـ وصف الاتجاهات السائدة فى المحتوى: أى أنه يساعد على تحديد الاتجاهات التى تبرز فى المحتوى كما أنه يبين مدى التغيرات التى حدثت فى هذه الاتجاهات على مر السنين.

٢ ـ تتبع تطور الدراسات الأدبية والعلمية: أى أن هذا الاستخدام يختص بتتبع اهتمامات وواجه نشاط المشتغلين بالدراسات الأدبية والعلمية.

٣ ـ الكشف عن الاختلافات بين مضمون الاتصال فى الدول المختلفة، حيث يستطيع التحليل المنظم لمواد الاتصال من الكشف عن أوجه الاختلاف بين الدول فى نظرتها وتفسيرها لمواد الاتصال.

ويبرز لنا مثل هذا التحليل القضايا ذات الاهتمام المشترك بين الدول والشعوب، وذلك يبين لنا مدى التعاون بين هذه الشعوب فى تفسير هذه القضايا. وإضافة إلى ذلك يمكننا استخدام تحليل المحتوى فى الكشف عن أشكال التفاوت بين الدول والشعوب نحو قيم أو اتجاهات معينة وغيرها من أمور ذات أهمية فى حياة تلك الدول أو الشعوب.

٤ ـ المقارنة بين وسائل الاتصال: وهذا التحليل يمكن له أن يبين لنا الفروق بين وسائل الاتصال فى عرضها لقضية معينة.

٥ ـ الكشف عن أساليب الدعاية: فدراسة الاتجاهات السائدة فى مادة من مواد الاتصال تساعد دون شك فى الكشف عن أساليب الدعاية فى المادة المدروسة.

٦ ـ قياس مقروئية الكتب المدرسية: أى قياس سهولة أو صعوبة النص وذلك بدراسة العوامل التى تؤثر فى هذا المستوى مثل المفردات والتراكيب اللغوية، والمفاهيم والطباعة وغيرها.

٧ ـ الكشف عن الملامح الأسلوبية، أى الكشف عما تتسم به الأجناس الأدبية شعرًا أو نثرًا من خصائص مميزة تعبر عن كاتبها أو العصر الذى أنتجت فيه أو المكان الذى صدرت منه.

٨ ـ الكشف عن الاهتمامات أو الميول أو القيم الاجتماعية: ويقصد بذلك التعرف على الأنماط الثقافية الشائعة فى مجتمع معين والوقوف على ما يسمى بروح العصر. وقد استخدم تحليل المحتوى فى دراسات تعكس القيم والاتجاهات العامة لمجتمعات وليس لأفراد. ومثل هذه الدراسات التى تستخدم تحليل المحتوى تستند إلى منطق مؤداه أن القيم الثقافية التى تتجسد فى بعض أشكال العمل بالمؤسسات الاجتماعية تمثلها بوضوح مواد الاتصال الصادرة عن أفراد ذوى صلة بهذه المؤسسات.

٩ ـ الكشف عن مجال الاهتمام، إذ من الممكن باستخدام أسلوب تحليل المحتوى التعرف على الموضوعات والقضايا التى تشغل الجماهير أو قطاعات منها فى فترة زمنية معينة وذلك بتحليل بعض المواد الإعلامية التى تنشر فيها هذه القضايا فى ضوء أسلوب منظم ومنهج علمى للتحليل.

١٠ ـ مطابقة المحتوى العلمى فى الكتب الدراسية للأهداف التربوية المطلوبة، فمن خلال عملية تحليل المحتوى فى ضوء الأهداف التربوية المختلفة يمكن أن يتضح أى الأهداف جرى التركيز عليها بصورة مقبولة وأيها لم يحظ بمثل هذا النوع من التركيز ويعتبر تحليل محتوى الكتب المدرسية فى ضوء الأهداف التربوية المرسومة خطوة أولى ورئيسية فى سبيل بناء الاختبارات التحليلية.

كما أن الهدف الأساسى الذى يحققه تحليل المحتوى فى مجال المناهج الدراسية هو إصدار أحكام دقيقة يتوافر لها قدر مناسب من الثبات والصدق والموضوعية حول مدى تمشى محتوى المنهج الدراسى مع بعض المعايير التى ينبغى الالتزام بها، بمعنى إصدار أحكام ما إذا كان المنهج الدراسى تتوفر فيه هذه المعايير، وإلى أى مدى.

ومن أهم المعايير:-

الشمول، والواقعية، والوحدة، والدقة، وتشجيع التفكير، والملائمة، والاحتواء أو التضمين.

ثانيًا: وحدة التحليل

إن وحدة التحليل هى أساس تحليل المحتوى. وقد نقل "رشدى طعيمة" عن "بيرلسون" (Perelson) أن هناك خمس وحدات أساسية فى تحليل المحتوى هى:

أ. الكلمة (Word):

تعتبر أصغر وحدات التحليل وقد تكون رمزًا وقد تكون مصطلحًا وتستخدم الكلمة كوحدة للتحليل فى مواقف مختلفة منها دراسة المفاهيم الاقتصادية والاجتماعية. وفيها تحديد مستوى السهولة أو الصعوبة للمادة المكتوبة أو ما يسمى اصطلاحًا.

ب. المفردة (Item):

هى الوحدة الطبيعية التى يستخدمها منتج مادة الاتصال. وتختلف باختلاف الدراسة الخاضعة للتحليل، فقد تكون كتابًا أو مجلة أو مقالًا أو قصة أو خطبة أو برنامجًا إذاعيًّا. وتستخدم المفردة كوحدة للتحليل، إذا كان هناك عدة مفردات فى الكتاب أو المجلة أو المقال وغيرها، ولكن إذا احتوت المفردة على فئات عديدة فلا يصح استخدامها كوحدة تحليل.

ج. مقاييس المساحة والزمن (Space &Time Measures):

وهى تقدير المساحات التى يشغلها موضوع التحليل، كان يحسب عدد الأعمدة أو الصفحات أو السطور التى يشغلها الموضوع، أو حساب الزمن الذى يستغرقه الموضوع. ويشيع استخدام وحدة المساحة والزمن فى الدراسات السياسية والاقتصادية على وجه الخصوص.

د. الشخصية (Character):

ويقصد بها الحصر الكمى لخصائص وسمات محددة ترسم شخصية معينة سوى أن كانت تلك الشخصية شخص بعينه، أو فئة من الناس أو مجتمع من المجتمعات، وذلك لتحقيق غرض معين.

هـ. الموضوع أو الفكرة (Theme):

وتمثل أهم وحدات تحليل المحتوى. وقد يكون الموضوع جملة بسيطة أو فكرة تدور حول قضية محددة سياسية كانت أو اجتماعية أو غيرها، أو كانت من موضوعات الاتصال الفردى أو الجماعى. والموضوع أو الفكرة وحدة ليست بالصغيرة كالكلمة أو الحرف فيصعب الحصول منها على بيانات متكاملة وواضحة، ولا هى بالكبيرة فيختلف عليها المحللون بحيث يصعب الوصول إلى درجات عالية من الثبات عند استخدامها.

ـ وتعد وحدة الموضوع والفكرة أهم وحدات تحليل المحتوى وأكثرها إفادة فى تحليل القيم والاتجاهات والمعتقدات.

ثالثًا: قواعد التحليل

ـ قراءة كل موضوع قراءة متأنية وفاحصة وهذا يساعد فى التعرف على الموضوعات الأساسية فى المادة المكتوبة مما يسهل تحديد الأفكار التى تتضمن وحدة التحليل.

ـ استخراج ما يحتويه مضمون كل موضوع من وحدة التحليل بشكل صريح وواضح.

ـ تفريغ نتائج التحليل فى استمارة التحليل، ويتم ذلك بإعطاء تكرار واحد لكل وحدة من وحدات التحليل عند ظهورها فى المحتوى المحلل.

رابعًا: جداول التحليل

يتم تصميم جدول لتسجيل نتائج تحليل المحتوى الذى شمله التحليل، وفقًا لاحتوائه على وحدة التحليل التى يشملها معيار تحليل المحتوى وكل جدول له بعدان أساسيان هما.

عمود: وتسجل فيه عناوين الموضوعات التى يضمها المحتوى.

صف: تسجل فيه وحدات التحليل الرئيسة وما تضمه كل وحدة رئيسية من وحدات فرعية بالإضافة إلى الخانات التى تسجل فيها المجاميع الخاصة بوحدات التحليل الفرعية والموضوعات.

وقد تحتوى هذه الجداول على ثلاث مستويات (يوجد إلى حد كبير، يوجد إلى حد ما، لا يوجد) أو أكثر من ذلك.

خامسًا: ثبات التحليل

يقصد به أن تعطى نفس النتائج إذا ما طبق أكثر من مرة تحت ظروف متماثلة.. ويتم ذلك من خلال الخطوات التاليه.

(أ) تطبيق أداة الدراسة:

ـ عملية التحليل الأول الذى يقوم به الباحث للمحتوى:

يتم التحليل الأول للمحتوى ويتم خلاله رصد كل فكرة فى كل موضوع تناول وحدة تحليل من الوحدات التى شملها المعيار بوضع علامة تكرارية فى الخانة أمام الموضوع تحت وحدة التحليل الرئيسة والفرعية المناسبة فى الجدول. ثم يتم جمع العلامات التكرارية فى كل خانة ويسجل الرقم الذى يدل على عددها: ويتم جمع عدد مرات تكرار جميع وحدات التحليل الفرعية فى وحدات التحليل الرئيسيه، وذلك بالنسبة لكل موضوع وتسجل هذه المجاميع كل فى خانة المجموع الخاص به فى الصف المقابل لكل موضوع ويتم جمع كل وحدة تحليل فرعية لكل وحدة تحليل

رئيسيه لجميع موضوعات المحتوى فى خانة المجموع أسفل كل عمود من أعمدة الجدول.

(ب) عملية التحليل الثانى الذى يقوم به الباحث للمحتوى:

لكى يتحقق الباحث من ثبات التحليل يقوم بعد مدة زمنية معينة من انتهاء التحليل الأول بتحليل ثانٍ للمحتوى بنفس الطريقة.

وللتأكد من إعطاء معيار الدراسة نفس النتائج تقريبًا إذا أعيد القياس مرات متتالية يتم تطبيق معادلة "هولستى" لتحديد معامل ثبات التحليل الذى يساوى معامل الاتفاق بين التحليلين الأول والثانى.

$$\text{م.ت} = \frac{\text{٢ جـ}}{\text{س + ص}}$$

حيث:

م.ت: معامل الاتفاق بين التحليلين الأول والثانى.

ج: الوحدات المشتركة فى التحليلين الأول والثانى.

س: عدد الوحدات التى وردت فى التحليل الأول.

ص: عدد الوحدات التى وردت فى التحليل الثانى.

(حـ) التحليل الذى يقوم به فاحصان آخران:

يختار الباحث فاحصين آخرين يقوم كل منهما منفردًا بعملية تحليل مستقل لكل موضوع من موضوعات محتوى التحليل بنفس الأسلوب الذى ذكر سابقًا من خلال الجداول المعدة.

وتستخدم هذه الجداول لحساب مدى الاتفاق بين التحليل الثانى للباحث وتحليلى الفاحصين الآخرين.

معامل الاتفاق بين التحليل الثانى للباحث وتحليلى الفاحصين الآخرين معًا.

يتم استخدام معادلة "هولستى" لحساب معامل الاتفاق بين ثلاثة محللين.

معادلة "هولستى" لتحديد معامل ثبات التحليل الذى يساوى معامل الاتفاق

$$م.ت = \frac{٣ ب}{س + ص + ع}$$

حيث:

م.ت: معامل الاتفاق بين التحليل الثانى للباحث وتحليلى الفاحصين الأول والثانى.

ب: الوحدات التى اتفق عليها الباحث والفاحصان الآخران.

س: عدد الوحدات التى وردت فى تحليل الباحث.

ص: عدد الوحدات التى وردت فى تحليل الفاحص الأول.

ع: عدد الوحدات التى وردت فى تحليل الفاحص الثانى.

وبعد أن يتم التعبير عن المحتوى بدلالات رقمية ووضع ذلك فى جداول مناسبة لا بد من الانتقال من عملية العرض الجدولى لنتائج التحليل إلى عملية الوصل الكيفى الذى يبرر ما وراء الأرقام من مبررات، وما لها من تفسيرات ودلالات بحيث يتم صياغة التفسيرات والاستدلالات فى عبارات واضحة.

صعوبات دراسة تحليل المحتوى:

وتبرز الصعوبات فى هذا المنهج باختيار العينة، حيث لا يستطيع الباحث أحيانًا الاطلاع على بعض الوثائق المهمة، أو أن الوثائق التى يدرسها لا تمثل صورة كاملة عن الموقف أو المشكلة التى يدرسها الباحث، ويحدد الباحثون عادة الصعوبات التالية فى دراسة تحليل المحتوى:

١ ـ قد تكون بعض الوثائق التى يحللها الباحث ليست واقعية بل تمثل صورة مثالية لا صورة واقعية، فالقوانين يمكن أن تنص على حرية الفرد وكرامته ولكن هذه القوانين قد لا تطبق ولا تحترم فى كثير من الممارسات، فإذا اعتمد الباحث على تحليل هذه الوثائق فسيصل إلى نتيجة خاطئة وهى احترام حرية الفرد دون أن تكون هذه الحرية محترمة فعلًا.

٢ ـ قد لا يستطيع الباحث الاطلاع على بعض الوثائق المهمة والتى تتسم بطابع السرية.

٣ ـ إن بعض الوثائق قد تكون محرفة أو مزورة وأن تحليل محتواها سيقود إلى نتائج خاطئة غير أن هذه الصعوبات يمكن أن تقل كثيرًا إذا نجح الباحث فى اختيار عينة ممثلة عن الوثائق وإذا استخدم المنهج العلمى فى نقد هذه الوثائق قبل دراستها ليتأكد من صحتها قبل أن يبدأ تحليلها.

مزايا دراسات تحليل المضمون:

من أهم مميزات تحليل المحتوى ما يلى:

ـ أن جمع المعلومات ودراستها دون الاتصال المباشر بمصادر بشرية يمكن أن يقلل من احتمالات تدخل ذاتية المصدر البشرى الذى يقدم المعلومات أو تقلل من إمكان وقوعه فى أخطاء مقصودة نتيجة النسيان.

ـ يمكن للباحث أن يحصل على معلومات دون أن يشعر بأنه يلاحق المصادر البشرية أو أنه يحرج هذه المصادر.

ـ أن هذه الدراسات يمكن أن تتم فى الوقت الذى يرغب فيه الباحث دون أن يشعر بالتزامات معينة تتعلق بالوقت أو أساليب إجراء المقابلات.

ـ وجود مصدر المعلومة ـ الصحيفة مثلًا ـ لدى الباحث وإمكانية الرجوع له فى أثناء إجرائه للبحث يعد من أهم ما يمتاز به أسلوب تحليل المحتوى..

ـ يمكن معرفة اتجاهات وآراء وقيم... إلخ قد لا يمكن الحصول عليها بالاتصال المباشر بأصحابها.

دواعى تحيز الباحث فى تحليل المحتوى أقل منها فى طرق البحث الأخرى وذلك بسبب الطبيعة الكمية الظاهرة التى يتصف بها تحليل المحتوى.

ـ أن الباحث فى العلوم الاجتماعية يقوم بإجراء دراسته باستخدام تحليل المحتوى دون الاتصال بالمبحوثين، حيث لا يحتاج إلى ذلك أو إلى إجراءات التجارب أو المقابلات؛ لأن المادة المطلوبة للدراسة تكون موجودة فى معظم الأحيان.

ـ لا يوجد تأثير للباحث حول المعلومات التى يجرى تحليلها، من حيث تبقى كما هى قبل أو بعد الدراسة.

ـ إمكانية إجراء المقارنة للاتجاهات خلال فترات زمنية، حيث يمكن بسهولة إعادة إجراء دراسة خاصة وأن المعلومات الخاصة بدراسة سابقة تبقى جاهزة لا تتغير.

عيوب أسلوب تحليل المضمون:

ـ احتمال التوصل إلى استنتاجات وأحكام خاطئة على الرغم من تأكيد وحدة التحليل لها.

ـ محدودية الوثائق وعدم شمولها مما ينعكس على تعميم النتائج فيما بعد.

ـ احتمال سوء تطبيق تحليل المحتوى، حيث يحتاج من الباحث أن يكون واضحا ودقيقًا.

ـ يتطلب تحليل المحتوى جهدًا حيث يحتاج الباحث إلى الجلوس فى المكتبة لفترات طويلة.

ـ يتطلب استخدام تحليل المحتوى صبرًا وانتباهًا إلى التفاصيل الدقيقة.

ـ إن نتائج تحليل المحتوى تكون وصفية تبين محتوى وشكل مادة معينة إلا أنها لا تبين لماذا حدثت.

ـ تقيد الباحث بالمعلومات الموجودة.

خامسًا : البحث السببى المقارن

مفهوم البحث السببى المقارن

مجالات استخدام البحث السببى القارن

متى يطبق البحث السببى القارن؟

كيف يطبق البحث السببى المقارن؟

أساليب البحث السببى المقارن

الفرق بين البحوث السببية المقارنة والبحوث الارتباطية والتجريبية

فوائد البحوث السببية المقارنة

عيوب البحوث السببية المقارنة

خامسًا : البحث السببى المقارن
Comparative Research

مفهوم البحث السببى المقارن :

هو ذلك النوع من البحوث الذى يطبق لتحديد الأسباب المحتملة ـ ولهذا سمى السببى ـ التى كان لها تأثير على السلوك المدروس، ليس من خلال التجربة، وإنما من خلال مقارنة من يسلك ذلك السلوك بمن لا يسلكه أو يتصف به ـ ولهذا سمى بالمقارن.

يتم البحث عن أسباب حدوث الظاهرة عن طريق إجراء مقارنات بين الظواهر المختلفة لاكتشاف العوامل التى تصاحب حدثًا معينًا فلو افترضنا أن باحثًا يريد أن يدرس أسباب حوادث السيارات فإنه يأخذ عددًا من حوادث السيارات هى أ، ب، ج، د، ثم يحلل كل حادث لمعرفة أسبابه على النحو التالى:

الحادث "أ" أسبابه هى: السرعة. التهور.

الحادث "ب" أسبابه هى: السرعة. الطقس.

الحادث "ج" أسبابه هى: السرعة. الطريق.

الحادث "د" أسبابه هى: السرعة وصلاحية المركبة.

إنه فى مثل هذه الحالة يستطيع أن يقول: إن السرعة هى عامل مهم ومشترك فى

جميع حوادث السيارات السابقة، وبذلك يكون قادرًا على أن يقدم توصياته باتخاذ قرارات تتعلق بالسرعة الآمنة.

إذن هو ذلك النوع من البحوث الذى يحاول فيه الباحث تحديد أسباب الفروق القائمة (فى حالة أو سلوك) بين مجموعة من الأفراد. ويطلق عليه أحيانًا بحوث "ما بعد الواقع" حيث إن العلة والمعلول يكونان قد حدثا ويحاول الباحث دراستهما دراسة تراجعية.

ويعدّ البحث فى المنهج السببى المقارن مستوى متقدمًا من بحوث دراسات العلاقة، حيث إنه لا يقتصر على الكشف عن ماهية الظواهر فحسب، بل يسعى أيضًا إلى البحث عن أسباب حدوث الظواهر، أى: يحاول الإجابة عن السؤالين: يكف تحدث الظواهر؟ ولماذا؟ وهو بذلك يقارن جوانب التشابه والاختلاف بين المتغيرات المختلفة؛ لاكتشاف العوامل التى تصاحب حدثًا معينًا.

ويعرف "كرلينجز" المنهج السببى المقارن على أنه: "البحث الذى تكون فيه المتغيرات المستقلة (الأسباب) ظاهرة ومعروفة، ويبدأ الباحث بملاحظة المتغيرات التابعة (النتائج) ومن ثم يقوم بدراسة المتغيرات المستقلة لمحاولة معرفة علاقتها المحتملة وآثارها على المتغيرات التابعة.

بينما يعرفه البعض على أنه: "نوعًا من التجريب غير المباشر، حيث لا يستطيع الباحث التأكد من صدق الارتباطات السببية بين الظواهر عن طريق التجربة، ولا يكون أمامه إلا إجراء تجارب غير مباشرة من خلال المنهج المقارن. فيختار الباحث ما هو مناسب من الحقائق أو المتغيرات المهمة التى يتضمنها النمط موضوع المقارنة. وطبيعى أن تكون عملية الاختيار متوقفة على نوع التصور النظرى الذى يتبناه الباحث.

مجالات استخدام البحث السببى القارن:

إن المجالات التى يمكن إخضاعها للبحوث المقارنة تتلخص فى:

- دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين أنماط السلوك المختلفة فى المجالات المختلفة.
- دراسة نمو أنماط الشخصية المختلفة، وتطويرها، أو أنماط الدافعية، أو الاتجاهات.
- دراسة نماذج التنظيم فى المنظمات المختلفة والمجتمعات المختلفة.
- دراسة النظم الاجتماعية فى المجتمعات المختلفة والأنماط الثقافية وغيرها.

ويطبق هذا النوع من البحوث عندما يكون الغرض من البحث محاولة الكشف عن الأسباب المحتملة، ولا يمكن فيها إخضاع السلوك للتجريب فيكون هذا المنهج هو أولى الأساليب بالتطبيق.

ويمكن التمثيل لهذا المنهج ببحث يجرى لمعرفة أثر العوامل التالية فى رفع مستوى التحصيل الدراسى:

- عدم تكرار الغياب.
- المشاركة فى النشاط غير الصفى.
- حل الواجبات المنزلية.

فالباحث هنا يختار مجموعتين من الطلاب: ذات معدل دراسى مرتفع، وأخرى ذات معدل منخفض بواسطة الرجوع لتقاريرهم، ثم يبحث عما إذا كان لهذه العوامل أثر فى ارتفاع المعدل من خلال معاملات الارتباط.

ولا يمكن هنا أن نجرى تجربة بتعريض أفراد المجموعة للغياب وحرمانهم من المشاركة فى النشاط الصفى أو حل الواجبات المنزلية بغرض معرفة أثر ذلك فى التحصيل؛ لأن هذا يخالف مبدأ أخلاقيًا أساسيًا، فيكون البحث السببى المقارن بهذا هو أنسب المناهج.

متى يطبق البحث السببى المقارن؟

البحث السببى المقارن يطبق فقط عندما يكون الغرض من البحث محاولة الكشف عن الأسباب المحتملة من وراء سلوك معين بواسطة دراسة العلاقة السببية المحتملة بين متغير ومتغير آخر من خلال ما يمكن جمعه من معلومات عن السلوك المراد دراسته.

كيف يطبق البحث السببى المقارن؟

لا يختلف تطبيقه عن باقى أنواع البحوث الأخرى فى كيفية تطبيق الخطوات التالية:

- توضيح مشكلة البحث بعناصرها المختلفة - كما ذكرنا سلفًا - عند عرضنا لأنواع البحوث.
- مراجعة الدراسات السابقة - بالطريقة التى أوضحناها سلفًا.
- فرض الفروض، إلا أن لفروض البحث أهمية كبيرة فى البحث السببى المقارن فهى المحور الأساسى الذى تدور حوله العملية البحثية فى البحث السببى المقارن، ومن هنا يشترط علماء المنهجية على الباحث أن يوضح المسلمات التى اعتمد عليها فى فرضه لكل فرض.
- تحديد الخطوات الإجرائية للبحث السببى المقارن والمشتملة على:
- تحديد مجتمع البحث.
- اختيار عينة البحث: أى يختار مجموعتين متشابهتين ومتكافئتين تماما فى معظم الخصائص ما عدا الخاصية المراد دراستها (المتغير المستقل).
- جمع المعلومات: وذلك بتصميم أو اختيار الأداة المناسبة لجمع المعلومات، ومن ثم تطبيقها.

ـ تحليل المعلومات: وذلك عن طريق مراجعة المعلومات وتبويبها وتفريغها وتحليلها وتفسيرها.

ـ ملخص البحث وعرض النتائج والتوصيات.

إذن يتضمن التصميم الأساسى للبحث السببى المقارن مجموعتين من الأفراد تختلفان فى أحد المتغيرات المستقلة، وتقارن النتائج بالنسبة لأحد المتغيرات التابعة.

ومن إجراءات استخدام الاختيار العشوائى كثيرًا ما تكون مصادر ضعف للبحوث السببية المقارنة، ففى البحوث التجريبية يعتبر الاختيار العشوائى للمجموعات أفضل طريقة لتحقيق التكافؤ بين المجموعات، وهذا غير ممكن فى البحوث السببية المقارنة؛ لأن المجموعات موجودة بالفعل، كما أنها تلقت المتغير المستقل.

أساليب البحث السببى المقارن:

أ ـ قد تكون نقطة البدء الأساسية فى البحث السببى المقارن هو التعرف على المعلول ثم السعى إلى تحديد الأسباب المحتملة له (العلة).

مثال:

باحث يحاول دراسة التفسير المحتمل لظاهرة الفروق فى توافق أطفال الصف الأول الابتدائى، بافتراض أن السبب الرئيسى لهذه الفروق يرجع إلى الالتحاق بمرحلة رياض الأطفال قبل المرحلة الابتدائية.

ب ـ يمكن البدء فى هذا المنهج بالسبب ومحاولة الوصول منه إلى النتيجة (ما أثر س).

مثال:

باحث يحاول دراسة أثر الرسوب على مفهوم الذات لدى طلبة المرحلة

الإعدادية. وهنا قد يفترض الباحث أن مفهوم الـذات لـدى الطالـب الناجـح أعـلى من مفهوم الذات لدى الطالب الراسب. ويختـار الباحـث مجموعـة مـن الطلبـة الناجحين ومجموعة أخرى من الراسبين من كل صف من الصفـوف الإعدادية. ثم يقارن مفهوم الذات بين مجموعة الراسبين ومجموعة الناجحين، فإذا أظهر الطلبة الناجحون مستوى أعلى من مفهوم الذات فإن الباحث يقبل الفرض الذى وضعه.

متى تتضح الحاجة إلى البحوث المقارنة؟

تتضح الحاجة إلى البحوث المقارنة من خلال التالى:

١ ـ عدم اضطرار الباحث إلى إجراء تغيير فى واقع الظاهرة مما يعطى النتائج دقة أكبر.

٢ ـ عدم خضوع الكثير من الظواهر الإنسانية إلى المنهج التجريبى، بل لا يمكن دراساتها إلا من خلال أسلوب الدراسة العلمية المقارنة.

٣ ـ لا يتطلب هذا النوع من الدراسة جهدًا طويلًا ونفقات كثيرة وتصميم تجارب كما هو الحال بالنسبة للمنهج الذى يعتمد على الأسلوب التجريبى.

الفرق بين البحوث السببية المقارنة والبحوث الارتباطية:

يخلط الباحثون أحيانًا بين البحوث السببية المقارنة والبحوث الارتباطية، إلا أن هناك فروق واضحة بينهما أهمها:

ـ البحوث السببية المقارنة تحاول تحديد علاقات العلة والمعلول، أما البحوث الارتباطية فإنها لا تحاول ذلك.

ـ البحوث السببية المقارنة بها مجموعتان (أو أكثر) ومتغير مستقل واحد. أما البحوث الارتباطية فإنها تدرس العلاقة بين متغيرين أو أكثر.

الفرق بين البحوث السببية المقارنة والبحوث التجريبية :

قد يبدو فى البداية من الصعب التمييز بين البحوث التجريبية والبحوث السببية المقارنة، فكلاهما يهدف لدراسة علاقة العلة بالمعلول كما أسلفنا، وكلاهما يتضمن المقارنة بين المجموعات. وأهم الفروق بينهما تتلخص فى التالى:

ـ أن الباحث فى البحوث التجريبية يصمم المجموعات بحيث يكون مجموعات مختلفة بالنسبة للمتغير المستقل، ثم يلاحظ أثر هذا الاختلاف على المتغير التابع.. أى يوضح أثر سبب معين فى وجود النتيجة فى حين أن الباحث فى البحوث السببية المقارنة يلاحظ الأثر أولًا ثم يحاول تحديد السبب، أو يحاول أن يحدد السبب فيما لاحظ من فروق بين المجموعات.. وببساطة فإن الفرق الرئيسى هو المعالجة التى يتعرض لها المتغير المستقل.

إذن هناك أوجه شبه بين كل من البحث السببى المقارن والبحث الارتباطى، والمنهج التجريبى وهناك أيضًا أوجه اختلاف. فمن أوجه الشبه أنها كلها تبحث وتطبق لغرض معرفة العلاقة بين متغيرين ولكن البحث الارتباطى يقتصر على معرفة العلاقة ودرجتها بينما البحث السببى المقارن يكشف عن الأسباب المحتملة للنتيجة المدروسة. أما المنهج التجريبى فيوضح أثر سبب معين فى وجود النتيجة.

مثال:

عند دراسة العلاقة بين التدخين والسرطان الرئوى يمكن تطبيق المناهج الثلاثة على النحو التالى:

ـ البحث الارتباطى: لتوضيح هل هناك علاقة بين التدخين والسرطان الرئوى، وما مقدارها. ولكن دون الدخول فى معرفة هل التدخين هو الذى سبب السرطان الرئوى، أم أن السرطان الرئوى كان بفعل عامل آخر.

ـ البحث السببى المقارن: لتوضيح هل كان التدخين من بين المسببات للسرطان

الرئوى وذلك بدارسة حالة مجموعتين من الذين ماتوا بسبب السرطان الرئوى مجموعة مدخنة. ومجموعة غير مدخنة. أى أن التشخيص لمعرفة السبب بعد وقوع الحالة.

ـ المنهج التجريبى: ويتم فيه معرفة أثر التدخين كسبب من أسباب السرطان الرئوى بإخضاع مجموعة تجريبية للتدخين فترة طويلة، وحجبه عن مجموعة أخرى (ضابطة). فإذا تبين أن المجموعة المدخنة تصاب بالسرطان الرئوى أكثر من غير المدخنة فيمكن حينئذ الجزم بأثر السبب (التدخين) على النتيجة (السرطان الرئوى).

فوائد البحوث السببية المقارنة:

ـ يمكن من البحوث السببية المقارنة التعرف على بعض العلاقات التى تقودنا إلى بحوث تجريبية. وكما هو معروف فإن البحوث التجريبية مكلفة ومجهدة ولا يجب القيام بها إلا إذا كان هناك اعتقاد قوى بأهمية القيام بها. وتساعدنا البحوث السببية المقارنة على التعرف على بعض المتغيرات التى تستحق دراستها تجريبيًّا.

ـ هناك الكثير من المشكلات، والنماذج السلوكية التى لا بد من دراستها ولكن لا يمكن دراستها تجريبيًّا لمعرفة مسبباتها، ومدى علاقة تلك الأسباب بها، وأثرها فى ظهورها. وإنما تشخيص حالتها الحاضرة، واستنتاج الأسباب المؤثرة، وأنسب أسلوب بحث لتحقيق ذلك هو البحث السببى المقارن.

ـ يمكن بواسطة البحث السببى المقارن دراسة العلاقة بين عدد كبير من المتغيرات المستقلة (الأسباب) وبين نتيجة واحدة، مما يساعد على صحة تفسير النتائج التى يتوصل إليها الباحث.

عيوب البحوث السببية المقارنة:

رغم الفوائد العديدة للبحوث السببية المقارنة، إلا أن هذا النوع من البحوث يعانى قصورًا شديدًا؛ وذلك أنه لا يستطيع أن يجزم بما يلى:

- عدم وجود سب آخر غير ملاحظ.
- عدم اشتراك سببين معًا دون فصلهما عن بعضهما البعض.
- عدم وجود سبب معين فى حالة وسبب آخر فى حالة أخرى.

لذلك يجب الحرص الشديد عند تفسير النتائج فالعلاقة السببية قد تبدو على غير ما هى عليه فى الواقع.

سادسًا : البحث الارتباطى

مفهوم البحث الارتباطى

هدف البحث الارتباطى

متى يطبق البحث الارتباطى؟

خطوات البحث الارتباطى

مميزات البحث الارتباطى

عيوب البحث الارتباطى

سادسًا : البحث الارتباطى

Corrdlational Research

مفهوم البحث الارتباطى :

هو ذلك النوع من أساليب البحث الذى يمكن بواسطته معرفة ما إذ كان هناك ثمة علاقة بين متغيرين أو أكثر، ومن ثم معرفة درجة تلك العلاقة، ومثال ذلك:

"العلاقة بين ارتفاع المعدل الدراسى وبين المتغيرات التالية: المشاركة فى النشاط غير الصيفى، مستوى الذكاء، عدم تكرار الغياب، المشاركة فى الفصل".

ويعتبر معظم العلماء أن البحث الارتباطى أحد أنواع المنهج الوصفى وأسلوب من أساليب تطبيقه وعلى الرغم من ذلك نجد أنهم عرضوه مفصلًا فى كتاباتهم، والبعض الآخر عرضه على أساس أنه منهج بحثى قائم بذاته وليس جزءًا من المنهج الوصفى.

وهو ذلك النوع من البحوث التى تدرس العلاقة بين المتغيرات أو تتنبأ بحدوث متغيرات من متغيرات أخرى مستخدمة فى ذلك أساليب إحصائية متطورة، مثل الانحدار التعدد، والتحليل العاملى.

إننا نجد أن كثيرًا من المتغيرات فى الدراسات التربوية والنفسية تنزع إلى الاقتران أو الوجود معًا فى الكثير من الأوضاع التعليمية والمختلفة، كالتحصيل والدافعية والذكاء.. إلخ لذا يحاول الباحثون فى هذه المجالات التأكد من مدى الارتباط الموجود بين هذه المتغيرات لدراسة العلاقات بينها باستخدام المنهج الارتباطى

والذى لا يعكس بالضرورة الارتباطات السببية بين المتغيرات إلا أنه يمكن الباحثين من تحويل هذه الظواهر الكيفية إلى ظواهر كمية يمكن معالجتها إحصائيًا لبيان الارتباط بينهما.

كما أن البحث الارتباطى لا يطبق لتعزيز العلاقة السببية بمعنى أنه لا يطبق لمعرفة أثر السبب على النتيجة أو أى من المتغيرات هو السبب والآخر النتيجة.

هدف البحث الارتباطى:

وبهذا المفهوم يتضح أن المنهج الارتباطى يقتصر هدفه على معرفة وجود العلاقة أو عدمها، وإذا كانت موجودة فهل هى طردية أو عكسية، سالبة أم موجبة.

ويشير الارتباط الإيجابى إلى أن التغير الذى يطرأ على أحد المتغيرين يقترن بتغير فى المتغير الآخر ولكن فى الاتجاه ذاته، أى أن ارتفاع قيمة أحد المتغيرين، تقترن بارتفاع قيمة المتغير الآخر، والعكس صحيح، أى أن انخفاض قيمة متغير، تقترن بانخفاض قيمة المتغير الآخر.

أما الارتباط السلبى فيشير إلى أن التغير الطارئ على أحد المتغيرين يقترن بتغير يطرأ على المتغير الآخر، ولكن فى الاتجاه المضاد. أى ارتفاع قيمة أحد المتغيرين، يقترن بانخفاض قيمة المتغير الآخر، والعكس صحيح؛ أى انخفاض قيمة أحد المتغيرين، تقترن بارتفاع قيمة المتغير الآخر.

ومن المهم لنا أن نعرف أن الدراسات الارتباطية بسبب وظيفتها التنبؤية، توفر لنا الكثير من الجهد والمال والوقت مما يعطيها مكانة مهمة فى مناهج البحث الإنسانية.

ويهدف المنهج الارتباطى لمعرفة ما إذا كان ثمة علاقة بين متغيرين أو أكثر ومن ثم بيان درجة تلك العلاقة. والتعبير عنها بشكل كمى من خلال ما يسمى بمعامل الارتباط. وإذا كان معامل الارتباط الناتج كبيرًا ومعنويًا، فإن ذلك يدل على تأثير تلك المتغيرات على بعضها بعضًا. فوجود ارتباط عال بين الذكاء والتحصيل

الدراسى مثلًا يعنى أن الأذكياء يحصلون على معدلات مرتفعة فى تحصيلهم الدراسى، والعكس بالعكس. وتستعمل العلاقة الارتباطية بالإضافة لما سبق فى عمليات التنبؤ. فنحن كثيرًا ما نستخدم معدلات تحصيل الطلبة فى نهاية المرحلة الثانوية كمتنبئات عن مستويات تحصيلهم فى دراستهم الجامعية، كما أن العلاقة الكبيرة القائمة بين أطوال الأفراد وأوزانهم تمكننا من التنبؤ عن قيم أحد هذين المتغيرين من معرفتنا بقيم المتغير الآخر.

أما دراسات العلاقة فهى تتناول فى العادة مجموعة من المتغيرات يظن أنها مرتبطة مع متغير رئيسى مركب مثل التحصيل المدرسى. فإذا وجد أن بعض هذه المتغيرات قليل الارتباط مع المتغير الرئيسى يتم حذفها من الدراسات اللاحقة. والمتغيرات التى يتضح بأن بينها علاقة مرتفعة، فيمكنها أن تؤدى إلى دراسات تجريبية للتأكد مما كانت تلك العلاقة من النوع السببى أم لا. فعلى سبيل المثال، فإن وجود علاقة مرتفعة بين التحصيل ومفهوم الذات لا يعنى أن أحدهما سبب والآخر نتيجة، إذ لا بد من اتباع ذلك بدراسة تجريبية يتم فيها التحكم بهذه المتغيرات تحت ظروف مضبوطة تمامًا للتوصل من ذلك إلى كون تلك العلاقة سببية أم لا. وبغض النظر عما إذا كانت العلاقة من النوع السببى أم لا، فإن وجود علاقة عالية بين المتغيرات يمكن من توظيف تلك العلاقة فى عمليات التنبؤ. فعلى سبيل المثال، فإن العلاقة بين مستوى التحصيل فى نهاية المرحلة الثانوية ومستوى التحصيل فى الدراسة الجامعية هى من النوع المرتفع الذى يسمح بإجراء عمليات التنبؤ عن معدلات التحصيل الجامعى من خلال معرفتنا بمستويات التحصيل فى المرحلة الثانوية. فالذين تكون علاماتهم المدرسية مرتفعة يتوقع أن تكون علاماتهم مرتفعة أيضًا فى دراستهم الجامعية والعكس بالعكس. وبالإضافة لما سبق، فإن الدراسات الارتباطية تستخدم للتدليل على وجود دلالات الصدق والثبات للمقاييس التربوية والنفسية المختلفة.

والدراسات الارتباطية تزودنا بتقدير لمستوى العلاقة الارتباطية بين متغيرين. وتكون قيمة الإرتباط (+١) إذا كان تامًّا وطرديًّا، و (-١) إذا كان تامًّا وعكسيًّا، وصفرا إذا كان معدومًا. وفى الغالب تكون قيمته محصورة بين الصفر والواحد الصحيح. وكلما كانت قيمته كبيرة كلما كان ذلك أفضل، وكلما كانت إمكانية استخدامه فى عمليات التنبؤ أفضل.

متى يطبق البحث الارتباطى؟

يطبق البحث الارتباطى إذا كان الغرض من البحث:

ـ معرفة ما إذا كان هناك علاقة بين متغيرين أو أكثر أم لا يوجد علاقة.

ـ معرفة مقدار العلاقة (سالبة أو موجبة) بين متغيرين أو أكثر بأدلة إحصائية.

ـ التنبؤ بتأثير متغير على متغير آخر، والتنبؤ لا تقتصر فائدته عند حصر العوامل المسببة المحتملة بل يتعداه إلى تقرير جدوى إجراء دراسة تجريبية لمعرفة أثر متغير دون غيره. نظرًا لما تتطلبه الدراسة التجريبية من وقت وجهد كبيرين، والتوصل إلى فرض فروض علمية تساعد على تقدم المعرفة.

خطوات البحث الارتباطى:

ـ اختيار المشكلة أو تحديد المشكلة.

تصمم الدراسات الارتباطية عادة إما للكشف عن المتغيرات المترابطة من بين عدد معطى من المتغيرات أو لاختبار صحة الفرضيات الخاصة بطبيعة العلاقات القائمة بين متغيرين أو أكثر. والمتغيرات التى تدخل فى الدراسة يجب أن يتم اختيارها على أساس استدلالى أو استنتاجى.

ـ مراجعة الدراسات السابقة.

ـ تحديد المتغيرات المراد دراستها.

ـ اختيار العينة وأداة الدراسة.

يتم اختيار العينة فى حالة الدراسات الارتباطية باستخدام أحد الأساليب الشائعة مثل الاختيار العشوائى أو الطبقى أو العشوائى الطبقى. ويتوقع أن لا يقل حجم العينات عن (٣٠) فردًا حتى يمكن باستخدامها التوصل إلى نتائج صادقة وموثوقة.

ـ التصميم والإجراءات:

لا بد من توفير علامتين أو أكثر لكل فرد من أفراد عينة البحث، وذلك بمعدل علامة واحدة عن كل متغير داخل فى الدراسة، ومن ثم يتم حساب معاملات الإرتباط بين المعاملات الخاصة بكل متغيرين منها. ويدل معامل الارتباط فى كل حالة على مستوى العلاقة بين المتغيرين المعنيين. والدراسات تختلف فيما بينها من حيث درجة تعقيد الأساليب الإحصائية التى تستخدمها، ولكن التصميم الأساسى متشابه فى حالاتها جميعًا.

ـ جمع المعلومات

تحليل المعلومات (مراجعتها، تبويبها، تفريغها، تحليلها وذلك لتطبيق أحد مقاييس الارتباط الذى يلائم مشكلة البحث وأهدافه).

ـ تحليل النتائج وتفسيرها.

عندما يتم حساب قيمة الترابط بين متغيرين اثنين فإن القيمة الناتجة تسمى بمعامل الارتباط. ويعبر عن هذه القيمة عادة بكسر عشرى تقع قيمته بين (٠) و (+ ١) إذا كانت العلاقة بين المتغيرين طردية، وبين (٠) و (-١) إذا كانت العلاقة عكسية. وفى حالة كون العلاقة طردية فإن المتغيرين المعنيين يتغيران فى نفس الاتجاه الواحد زيادة أو نقصانًا، وفى حالة كونها عسكية فإنهما يتغيران باتجاهين متعاكسين بحيث إذا زاد أحدهما نقص الآخر. أما عندما يكون معامل الارتباط صفرًا فإن العلاقة بين المتغيرين تكون معدومة وأن التغير فى أحدهما لا تحكمه صلة بالتغير فى الآخر. ومن الجدير بالذكر أن اشارة معامل الارتباط تدل على اتجاه العلاقة، طردية أم عكسية، ولا تدل على قوتها. فمعامل الارتباط (+ ٠،٧٥) له نفس قوة معامل

الارتباط (-٠,٧٥)، ولكن الأول يدل على وجود علاقة طردية بينما يدل الثانى على وجود علاقة عكسية بين المتغيرات.

ومن أهم المقاييس التى يتم عن طريقها حساب معاملات الارتباط مقياس "سبيرمان"، ومقياس "بيرسون".

مميزات البحث الارتباطى:

- دراسة عدد من المشكلات ذات العلاقة بالسلوك البشرى التى قد لا يمكن دراستها بواسطة مناهج البحث الأخرى.

- على الرغم من أنه لا يطبق لمعرفة السبب والنتيجة إلا أنه يمكن تطبيقه لدراسة العلاقة بين عدد كبير من المتغيرات فى دراسة واحدة، وهذا يتناسب مع دراسة السلوك الإنسانى الذى لا يرتبط غالبًا بمتغير واحد فقط مما يساعد على معرفة السبب والنتيجة.

- يمتاز البحث الارتباطى عن البحث السببى المقارن بأنه يمكن بواسطته معرفة درجة العلاقة بين المتغيرات المدروسة.

- يساعد البحث الارتباطى على حصر المتغيرات ذات العلاقة واستبعاد المتغيرات التى ليس لها علاقة مما يوفر الجهد على الباحث بدراسة متغيرات ليس بينها وبين الظاهرة المدروسة علاقة.

عيوب البحث الارتباطى:

- يساعد على معرفة العلاقة بين المتغيرات ودرجتها، ولكنه لا يوضح السبب والنتيجة، وهذا يجعل منه أسلوبًا أوليًّا يخلفه فى التطبيق منهجًا آخر يوضح السبب والنتيجة.

- البحث الارتباطى يصور الظاهرة الإنسانية على أنها ظاهرة طبيعية على الرغم من أن الظاهرة الإنسانية معقدة تتأثر بعوامل متعددة، إلا أن ما يتوصل إليه الباحث من نتائج قد يتغير كليًّا أو جزئيًّا إذا أجريت الدراسة فى ظروف مغايرة.

سابعًا : البحث التتبعى (التطورى ـ النمائى)

مفهوم البحث التتبعى.

هدف الدراسات التتبعية أو النمائية.

أساليب البحث التتبعى.

أولاً ـ البحوث المستعرضة.

ثانيًا ـ البحوث الطولية.

أنماط الدراسات النمائية (التطورية أو التتبعية)

خطوات الدراسة التتبعية (النمائية)

كيف يطبق البحث التتبعى؟

أوجه الاختلاف بين الدراسات النمائية والدراسات التاريخية والتجريبية.

مميزات وعيوب البحوث التتبعية.

سابعًا: البحث التتبعى (التطورى. النمائى)
Development Research
Follow upresearch

مفهوم البحث التتبعى:

هو ذلك النوع من البحوث الذى يطبق بغرض قياس مقدار التطور أو التغير الذى يحصل بفعل عامل الزمن على استجابة العينة نحو الموقف المطروح، ويسمى بالتتبعى حيث يمكن معرفة مقدار النمو والتطور أو التغير وأنماطه التى تطرأ على الاستجابة.

يختلف المؤلفون العرب فى تسميتهم لهذا النوع من أنواع المنهج الوصفى فمنهم من سماه بدراسات النمو والتطور وبعضهم الآخر أسماه الدراسات النمائية، كما سمى بدراسات التطور، وأطلق عليه اسم الدراسات التتبعية. ويرجع الاختلاف بينهم إلى الاختلاف فى ترجمة كلمة Development ويمكننا هنا تبنى مسمى البحث التتبعى.

ويهتم البحث التتبعى بدراسة ظاهرة من الظواهر عبر مرحلة من الزمن، لذا فهى لا تقتصر على وصف الوضع الحالى للظاهرة فقط بل تدرس الظاهرة فى فترة ما ثم تتابع دراستها لمعرفة التغيرات التى تمر بها الظاهرة مع الزمن والعوامل التى تسبب هذه التغيرات.

وتتناول الدراسات التطورية الوضع القائم للظاهرات والعلاقات المتداخلة بينها، وكذلك التغيرات التى تحدث نتيجة لمرور الزمن، فهى تصف المتغيرات

خلال مراحل تطورها فى فترة زمنية معينة، ومن أوضح الدراسات التطورية دراسات النمو الاجتماعى أو النفسى أو الحركى أو الجسمى أو العقلى.. وغيرها من مظاهر النمو الأخرى من الميلاد حتى الشيخوخة.

إذن تهدف البحوث النمائية إلى دراسة التغيرات الحادثة وموقف معين مع مرور الزمن، فهى تصف مجرى تطور التغيرات عبر فترة من الزمن، لذا تعد هذه البحوث مناسبة جدًّا لدراسة النمو البشرى وتطور هذا النمو.

إن مصطلح "تنموى" أو "إنمائى Developmental" هو مصطلح بيولوجى فى المقام الأول؛ فهو يرتبط بتنظيم العمليات الحيوية للكائنات الحية. وقد اقتبس هذا المفهوم وطبق على مظاهر تربوية متنوعة، منها: التاريخية، والاجتماعية، والنفسية. ومع ذلك.. فقد ظل استخدام مصطلح "التنموية"، أو "الإنماء" فى التربية يحتفظ بأبعادها البيولوجية فيما يتعلق باكتساب المهارات الحركية والإدراكية عند الأطفال الصغار. ولكن نطاق استخدام مصطلح "التنموية" فى التربية أصبح أكثر اتساعًا منه فى البيولوجى، وعلى سبيل المثال.. فقد استخدم مرتبطًا بدراسات "بياجية" عن التغيرات النوعية التى تحدث فى تفكير الأطفال، وكذلك فى دراسات. "كولبيرج" Kohlberg عن النمو الخلقى عند الأطفال.

ونظرًا لأن التربية تهتم ـ أساسًا ـ بنمو الأفراد جسميًّا، واجتماعيًّا، وعقليًّا، ووجدانيًّا.. فقد ظلت الدراسات التنموية تحتل مكانًا رئيسًا بين الطرق المستخدمة فى البحوث التربوية.

هدف الدراسات التتبعية أو النمائية:

يطبق البحث التتبعى عندما يكون الهدف من البحث ما يأتى:

١ ـ معرفة مقدار النمو التطورى أو التغير الذى يحصل بفعل عامل الزمن على استجابة العينة نحو الموقف المطروح.

٢ ـ معرفة مدى الثبات والتغير فى الاتجاهات السائدة نحو الموقف المطروح بعد مرور مدة من الزمن دون التزام بعينات ثابتة أو مجتمع بحث ثابت.

٣ ـ معرفة مدى الثبات والتغير فى استجابة مجتمع البحث نحو الموقف المطروح بواسطة اختيار عينات مختلفة منه تطبق عليها الدراسة بأوقات مختلفة.

٤ ـ معرفة مدى الثبات والتغير فى استجابة عينة البحث نحو الموقف المطروح بعد مرور مدة من الزمن.

والدراسة النهائية الهدف منها "التعرف على ذلك القدر من التطور أو النمو أو التغير الذى يطرأ على استجابات عينة من العينات نحو موقف معين بمرور الزمن.

أساليب البحث التتبعى:

ـ يطبق لقياس مقدار التطور أو التغير فى الاستجابة بشكل غير مباشر.

ـ يجرى مرة واحدة باختيار عينة ذات فئات عمرية مختلفة، لمعرفة استجابة تلك الفئات نحو الموقف المطروح.

ـ يركز على توضيح أثر الزمن على النمو والتطور أو التغير فى الاستجابة.

ـ يختلف عن البحث المسحى فى أنه يفسر فى ظل الوقت، أما المسحى فى شخص الواقع فقط.. **ويمكن تطبيق البحث التتبعى بأحد الأسلوبين التتاليين: ـ**

أولا: البحوث المستعرضة:

وهو الذى يطبق لقياس مقدار التطور أو التغير فى الاستجابة بشكل غير مباشر، حيث يجرى مرة واحدة باختيار عينة ذات فئات عمرية مختلفة، وبمقارنة استجابة تلك الفئات نحو الموقف المطروح يتضح أثر الزمن على النمو والتطور أو التغير فى الاستجابة، والهدف منه التفسير فى ظل الوقت الذى أجريت فيه الدراسة، ومثال ذلك:

"مقارنة بين أراء المعيدين، والمحاضرين، وأعضاء هيئة التدريس فى قسم من الأقسام العلمية بالجامعة حول برنامج الدراسات العليا فى القسم لمعرفة أثر الوقت (الخدمة) فى استجابة العينة بفئاتها المختلفة حول المواقف المطروحة".

ـ وقد يقوم الباحث باختيار مجموعة من الأطفال فى أعمار مختلفة وتطبق عليهم مجموعة واحدة من المقاييس بدلًا من تكرار قياس نفس الأطفال كما فى الطريقة الطولية. أى أن الباحث يقوم بإتمام دراسته دون أن ينتظر الأطفال حتى يكبروا وإنما يقوم بملاحظة مجموعة مختلفة، وكل مجموعة مستقاة من مستوى عمرى معين، ثم تدرس البيانات المتجمعة من هذه المجموعات للتوصل إلى الأنماط العامة للنمو فى كل جانب من جوانبه.

والبحوث المستعرضة تستغرق إجراءات فترة زمنية قصيرة جدًّا، ففيها تجمع البيانات من عينة ممثلة لقطاعات متنوعة أو أعمار متنوعة حول موضوع معين فى لحظة زمنية معينة، قد تكون يومًا أو أسبوعًا أو دقائق.

وتختلف البحوث المستعرضة عن البحوث الطولية، فى كونها تقيس متغيرات قليلة لعدد كبير من المفحوصين، حيث يمكن من خلالها قياس متغيرات الوزن والطول ومحيط الجسم والعرض، لعدة آلاف من الطلاب بين سن الثانية عشرة والسادسة عشرة، أما فى البحوث الطولية، فمن المحتمل أن نلاحظ مفحوصين أقل، ونقيس متغيرات أكثر.

هذا وتعد البحوث المستعرضة أكثر انتشارًا فى المجال التربوى؛ لأنها أقل تكلفة واستنفادًا للوقت، وتتميز بسرعة ظهور نتائجها، وهى أقل تأثرًا بعوامل الضبط والتحكم فى تصميم البحث، كما أنها تحظى بتعاون المفحوصين واستجابتهم، حيث تطلب منهم الاستجابات مرة واحدة خلال البحث.

وعلى الرغم من ذلك، يضعف من قيمة هذه البحوث بعض المشكلات التى تواجه البحث عند إجرائها، ففيها ربما لا يمكن عقد المقارنة بين المفحوصين المختلفين الذين تم اختيارهم من مستويات مختلفة.

كما يضعف من قيمة هذه البحوث أن اختيار عينتها يعتبر عملية معقدة جدًّا، حيث تتعدد خصائص الأفراد فى كل مستوى، وقد يصعب توحيد تلك الخصائص أو ضبطها، بالإضافة إلى المشكلات التى تنشأ نتيجة لأسلوب اختيار العينة.

والدراسات المستعرضة.. يمكن تشبيهها بالتقاط صورة فوتوغرافية لعينة ما، أو لمجتمع ما فى لحظة زمنية معينة؛ مثل استطلاع رأى على مستوى قومى؛ حيث تؤخذ آراء عينات ممثلة لقطاعات المجتمع المختلفة، منهم أفراد من أعمار متباينة، ومنهم النساء والرجال، ومنهم أصحاب المهن المتنوعة، والمستويات التعليمية المتقاربة، والمستويات الاقتصادية المتدرجة، وسكان المناطق المختلفة ـ ويتم استطلاع رأى كل هؤلاء فى يوم واحد حول موضوع معين.

هدف الدراسات المستعرضة:

تشخيص الواقع ووصفه، وتفسيره فى إطار زمنى محدد. حيث قد يتغير هذا التشخيص عندما تجرى الدراسة فى وقت لاحق. وهو بهذا يشبه البحث المسحى إلا أنه يختلف عنه من حيث التركيز على أثر الوقت فى إجراء الدراسة فليس الهدف من المسح المستعرض الوصف وتشخيص الواقع فقط كما هى عليه الحال بالنسبة هو التفسير فى ظل الوقت الذى أجريت فى الدراسة.

حدود الدراسات المستعرضة:

ولهذه الدراسات حدود حيث لا يستطيع الباحث ملاحظة ودراسة متغيرات متعددة كما هو الحال فى الدراسات الطولية.

مزايا الدراسات المستعرضة:

أما الدراسات المستعرضة فإنها تتميز بما يلى:

١ ـ أنها تجرى على أفراد عديدين ومجموعات متعددة من الأطفال.

٢ ـ يمكن أن تتم فى فترة قصير نسبيًّا.

وبذلك يمكن أن تتم الدراسة فى فترة قصيرة نسبيًّا، فهى توفر الوقت والجهد والمال، وأنها تجرى على أفراد عديدين، ومجموعات متعددة من الأطفال فى نفس الوقت، ولذلك فهى أكثر استخدامًا.

عيوب الدراسات المستعرضة:

- ومن عيوبها أنها لا تجرى على مجموعة واحدة، كما هو الحال فى الدراسات الطولية، فالباحث لا يتابع مجموعة واحدة وبذلك فقد تتأثر النتائج بالفروق بين أفراد المجموعات المختلفة، مما يجعل النتائج أقل دقة من الدراسات الطولية، لأنها غالبًا لا تعطى صورة صادقة للواقع؛ وذلك لأن العينة المنتقاة للبحث ليست هى نفسها من صف لآخر، حيث لا بد وأن تختلف كل مجموعة عن المجموعات الآخرى فى بعض الخصائص مهما بلغت عملية الانتقاء من الدقة والموضوعية.

ثانيًا: البحوث الطولية:

هذه البحوث تستغرق إجراءاتها فترة زمنية طويلة نوعًا، ففيها تجمع عادة البيانات من خلال فترة زمنية ممتدة قد تصل إلى عدة أسابيع أو عدة شهور أو عدة سنوات، وتعتمد فيها الدراسة على بيانات متتابعة عن نفس أفراد العينة المختارة فى البحث، ولذا تسمى أحيانًا بالبحوث التتبعية.

وفى هذه البحوث قد تجمع بيانات عن أفراد العينة، أو عن أحداث معينة خلال فترة زمنية مستقبلية محددة، ويسمى هذا المنهج فى جمع البيانات بالبحوث الطولية المستقبلية. أما البحوث التى تحاول الكشف عن الأسباب الماضية التى أدت إلى وضع قائم الآن، فيطلق عليها البحوث الطولية الاسترجاعية.

وتعتبر البحوث الطولية من أنسب التصميمات البحثية، وخاصة عندما يكون هدف البحث الكشف عن وجود علاقة سببية بين بعض المتغيرات، حيث يهتم الباحث فى هذه الحالة بتحديد التغيرات فى بعض الخصائص، أو فى بعض المتغيرات التى تحدث تغيرات فى بعض الخصائص، أو المتغيرات الأخرى.

ومن جوانب القوة فى هذه البحوث أنها تمدنا بسجلات تتبعية للتلاميذ، تفوق فى قيمتها أى اختبار أو أى أسلوب قياسى آخر، وتمكننا من معرفة كيفية تأثير تغير خصائص الأفراد فى تغير النظم الاجتماعية ككل، هذا إلى جانب أن عامل الوقت الذى تتيحه هذه البحوث، يعطى الباحث فرصة لملاحظة التغيرات واتجاه تلك التغيرات، وأن يفرق بين التغير وبين الظواهر الطارئة.

إلا أنه يؤخذ على هذه البحوث بعض نقاط الضعف، منها أنها تحتاج إلى وقت طويل وتكلفة مادية أكبر؛ لأن الباحث يضطر إلى الانتظار حتى تتجمع لديه البيانات المرتبطة بنمو الظاهرة المراد تتبعها، كما يصعب فى هذه البحوث التحكم فى العينة وبقاء أفرادها حتى الانتهاء من الدراسة، فقد يتسرب بعضهم خلال سنوات الدراسة الطويلة، مما يفقد هذه البحوث مصداقيتها، من حيث تمثيلها لمجتمع البحث الذى بدأ به الباحث، وإلى جانب ذلك يصعب فى هذه البحوث التحكم فى سلوك العينة الناتج من طبيعة إجراءات البحث، فقد يؤدى تكرار عملية جمع البيانات من خلال المقابلات أو أدوات البحث الأخرى إلى حدوث أثر غير مرغوب فيه على السلوك أو الانفعال أو الاتجاهات المراد دراستها.

و(الطريقة الطولية) هى ما يجرى لقياس مقدار النمو والتطور أو التغير فى الاستجابة نحو الموقف المطروح بشكل مباشر، حيث تجرى الدراسة فى أكثر من مرة، وبمقارنة نتائج الدراسة فى المرة الأولى بنتائجها فى المرة الثانية.

وفى هذه الطريقة (الطريقة الطولية) يتم قياس النمو لدى نفس الأطفال فى أعمار مختلفة، فعلى سبيل المثال إذا أردنا معرفة خصائص النمو الجسمى والحركى والعقلى والانفعالى والاجتماعى للأطفال خلال المرحلة السنية من ٦ ـ ٩ سنوات، فإننا نختبر ونقيس هذه المتغيرات عند نفس الأطفال وذلك حينما يكونون فى سن ٦ سنوات، ٧ سنوات، ٩ سنوات، أى أننا نقوم بدراسة تتبعية لهذه المظاهر عند هؤلاء الأطفال منذ سن السادسة وحتى بلوغهم تسع سنوات وتحدد أنماط نموهم الفردية بالنسبة لهذه المتغيرات خلال تلك السنوات.

كما تتناول الدراسة الطولية عددًا أقل من المفحوصين وقياس متغيرات أكثر، فعلى سبيل المثال قد يلجأ باحث لدراسة النمو المهنى للمعلمين ففى هذه الدراسة يتم جمع بيانات متنوعة ومتعددة عن الخلفية الثقافية والتربوية والاجتماعية التى نشأ فيها المعلم، وعلاقاته مع الزملاء وقدراته العملية، وخبراته واتجاهاته وميوله وانفعالاته، وقدراته العقلية، ونموه الجسمى، وحالته الصحية.

مزايا الدراسات الطولية:

١ ـ ومن مميزات الدراسات الطولية أنها أكثر دقة وصدقًا؛ لأنها تجرى على مجموعة واحدة فقط، وتتم متابعة هذه المجموعة نفسها على فترات زمنية، كما أنها تتيح للباحث ملاحظة أكثر من متغير فى دراسته فى آن واحد، حيث يستطيع ملاحظة النمو اللغوى، والنمو الحركى، والنمو فى الوزن والطول فى آن واحد.

٢ ـ لا شك أن الدراسات البحثية الطولية تجنب الباحث مشكلات الخوض فى اختيار عينات لدراسته، فالدراسة الطولية عادة ما تجرى على فرد واحد، أو عدد قليل جدًّا من الأفراد، فى آن واحد.

٣ ـ قلة عدد أفراد الدراسة يتيح للباحث فرصة التركيز والتعمق والتدقيق، ويجعله يتناول موضوعات متنوعة عنه أو عنهم، ذات ارتباط وثيق بجوهر الدراسة وتفيده فى مزيد من التعرف على الفرد أو الأفراد وجمع بيانات ومعلومات عنهم.

٤ ـ الدراسة الطولية تتميز، مثلها مثل المقابلة الشخصية، بالاتصال المباشر، وجهًا لوجه، فإن علاقة ودية حبية طيبة تنشأ بين الباحث وبين فرد أو أفراد الدراسة، وتساعد الباحث على الانسجام والتفاهم، وتكسب تعاونه أو تعاونهم معه فيما يحقق غرض الدراسة.

٥ ـ الدراسة الطولية، لطولها، ولأنها تتميز بالاتصال المباشر بين الباحث وبين فرد أو أفراد الدراسة، وللجو الودى الطيب الذى ينشأ من جراء ذلك، فإنها طريقة

جيدة ذات قدرة فائقة على إمكانية إعطاء تنبؤات وتوقعات دقيقة حول خصائص ومميزات النمو والتطور عند الفرد أو الأفراد المستهدفين بالدراسة، تتيح للباحث الفرصة الكاملة لتدوين وتسجيل ليس لما يحدث من تغيرات بل حتى إلى الظروف والأبعاد الشاملة لعملية التغيير هذه فى أثناء النمو والتطور.

٦ ـ الدراسة الطولية، بدون شك، هى مجال جيد للباحث لإثراء معلوماته.

عيوب الدراسات الطولية:

١ ـ من عيوبها أنها تتطلب وقتًا طويلًا وجهدًا كبيرًا منذ بدء الدراسة حتى نهايتها، كما أن بعض أفراد العينة قد ينتقل من مكانه فى أثناء البحث بحيث يصعب تتبعه. كما يتعرض بعض أفراد المجموعة لأحداث مهمة فى الفترة الزمنية الطويلة تؤثر على نموهم سلبًا وإيجابًا، وخاصة فى حالة العينات الصغيرة، كما قد تتغير أساليب الدراسة وتتطور ويكتشف الباحث أساليب أكثر إتقانًا من الأسلوب الذى بدأ به مما يفرض عليه إدخال تحسينات على أسلوب البحث.

٢ ـ قد تتغير أساليب الدراسة وتتطور ويكتشف الباحث أساليب دراسة أكثر إتقانًا من الأسلوب الذى بدأ به.

٣ ـ قد يتعرض أفراد العينة إلى أحداث مهمة فى هذه الفترة الزمنية الطويلة ما يؤثر على نموهم سلبًا أو إيجابًا.

٤ ـ الباحث نفسه يتعرض لأسباب قد تعيقه، بسبب طول الفترة الزمنية الدراسية، من المواصلة والاستمرار، ومنها المرض، والموت، والانتقال والملل والإحباط، والقصور المادى، وغير ذلك من الأسباب الأخرى.

٥ ـ أية مشكلات أو صعوبات تحدث للمبحوث أو للباحث، فى أثناء إجراء الدراسة البحثية الطويلة وينتج عنها توقف وتعطل وتعثر، تضيف ثقلًا وحملًا جديدًا فى الجهد المبذول، والوقت المطلوب، والتكلفة المالية.

٦ ـ الدراسة البحثية الطولية، خاصة تلك التى تجرى على الأطفال، تتطلب أخذ إذن مسبق من ولى أمر الطفل، وتعتمد على كسب تعاونه، وهذا قد يكون صعبًا، فى كثير من الأحيان، فلا الطفل، ولا ولى أمره يستفيدان شيئًا، فكلاهما مطلوب منه "التبرع بوقت" و"الخضوع إلى تجارب" وهو أصلًا فى غنى عنها، بل يمكنه الاستفادة من الوقت فى شىء آخر يعود عليه وعلى طفله بالفائدة والنفع الجليل.

ويلخص الشكل التالى أنواع البحوث النمائية (التتبعية ـ التطورية):

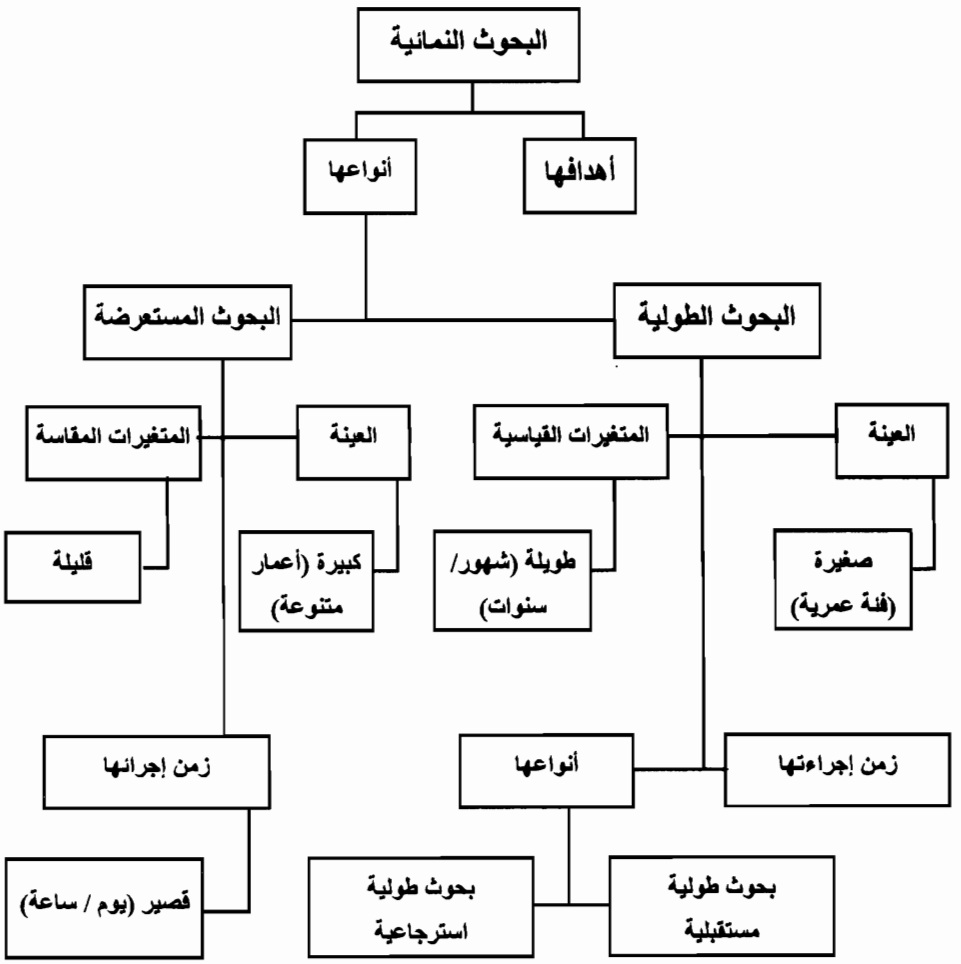

أنماط الدراسات النمائية (التطورية أو التتبعية):

تنقسم الدراسات النمائية إلى: دراسات النمو، ودراسات الاتجاه

أ. دراسات النمو:

وتهتم هذه الدراسات بالتغيرات التى تحدث للظواهر ومعدل هذه التغيرات والعوامل التى تؤثر بها، خاصة ما يتعلق منها بالنمو الإنسانى بمختلف أشكاله كالنمو الجسمى والحركى والاجتماعى والثقافى والانفعالى.. وتنقسم إلى قسمين رئيسين: الدراسات الطولية، والدراسات المستعرضة.

ب. دراسات الاتجاه:

وتهتم بدراسة ظاهرة ما، فى واقعها الحالى، ومتابعة دراستها على مدى فترة زمنية قادمة. وذلك لمعرفة تطور اتجاهات هذه الظاهرة من أجل التنبؤ بما يمكن أن يحدث لها فى المستقبل.

ويعد هذا النوع من الدراسات دراسات تنبؤية يمكن استخدامها على نطاق واسع فى دراسة التغير الاجتماعى والثقافى لمجتمع معين، وضمن فترة محدودة. بهدف التنبؤ عن مدى التغير والتطور الذى يمكن أن يحدث للمجتمع نفسه بعد فترة زمنية لاتخاذ التدابير المستقبلية اللازمة من أجل مواجهة هذا التطور المحتمل. ويحذر الباحثون من أن التنبؤ بالمستقبل قد لا يكون بهذه السهولة ذلك أن معدل التغير من ظاهرة إلى أخرى قد لا يكون بنفس المستوى من التغير، فهناك ظواهر من السلوك قد تتغير بسرعة أكبر مما يتوقع المرء، مع أن ظواهر أخرى قد تستغرق فترة زمنية طويلة لذا ينظر للتنبؤات لا على كونها مسلمات وحقائق بل مؤشرات تساعد على فهم التطور الذى يمكن أن يحدث فى المستقبل.

خطوات الدراسة التتبعية (النمائية):

فالدراسة النمائية أسلوب لمعالجة مشكلات التطور والتغير التى تمر بها الظاهرة، حيث يبدأ الباحث بالخطوات التالية:

١ ـ ملاحظة ظاهرة أو موقف فى فترة ما من الزمن ووصف هذه الظاهرة كما هى فى ذلك الوقت.

٢ ـ يتابع هذه الظاهرة بعد مرور فترة من الزمن. والتغيرات التى تمر بها، والعوامل التى أدت إلى إحداث هذه التغيرات.

٣ ـ متابعة دراسة الظاهرة بعد فترة زمنية أخرى وتحديد العوامل التى ادت إلى تشكيلها فى آخر صوره لها.

كيف يطبق البحث التتبعى؟

أ ـ توضيح مشكلة البحث توضيحًا شاملًا لكل ما يتطلب البحث توضيحه.

ب ـ مراجعة الدراسات السابقة.

ج ـ تصميم البحث، وتحديد خطواته الإجرائية، مجتمع البحث، عينة البحث، أدوات البحث.

د ـ جمع المعلومات بعد كل مرة تطبق فيها الدراسة.

هـ ـ تحليل المعلومات وتفسيرها أول بأول متبعًا فى ذلك خطوات التحليل العلمى.

أوجه الاختلاف بين الدراسات النمائية وبين الدراسات التاريخية والتجريبية :

ويلاحظ أن هذه الدراسات ترتبط بالدراسات التاريخية أو بالأسلوب التاريخى وبالأسلوب التجريبى.

فالباحث حين يدرس ظاهرة ما فى فترة زمنية سابقة، ويصف هذه الظاهرة فى مراحل لاحقة فإنه يقوم بدراسة تاريخية.

وحين يدرس ظاهرة ما ثم يقوم بدراستها بعد فترة فكأنه يقوم بدراسة تجريبية استخدم فيها أسلوب الفحص القبلى والفحص البعدى كما يستخدم فى البحث التجريبى، ولكن الأسلوب النمائى يختلف عن الأسلوب التاريخى فى كونه يمكن أن

ينطلق من الحاضر أو من الظاهرة فى وضعها الحالى ويتابعها فى المستقبل، بينما يهتم الأسلوب التاريخى فى دراسته ظاهرة سابقة ومتابعة دراستها حتى فترة من الزمن قد لا تصل إلى الزمن الحاضر.

كما يختلف الأسلوب النمائى عن التجريبى فى كون الباحث لا يستخدم أسلوب الضبط أو تثبيت العوامل كما يستخدم فى الأسلوب التجريبى.

مميزات وعيوب البحوث التتبعية (النمائية والتطورية):

أولاً: المميزات

ـ المسح المستعرض يفوق المسح الطولى من حيث قلة التكلفة والجهد حيث إنه لا يجرى إلا مرة واحدة، وكذلك من حيث ما يتطلبه إجراؤه من وقت قصير.

ـ المسح الطولى يفوق المسح المستعرض فى صدق النتائج التى يتم التوصل إليها بواسطته وذلك بسبب المتابعة وقياس أثر الوقت على الاستجابة نحو الموقف المطروح بشكل مباشر.

ـ تعتبر الدراسات النمائية (خاصة الطولية) أكثر دقة من غيرها من الدراسات بالنظر إلى أنها تجرى على مجموعة واحدة فقط، وتتم متابعة هذه المجموعة نفسها على فترات زمنية معينة.

ـ يقوم الباحث فى الدراسات النمائية بملاحظة أكثر من متغير خلال دراسته، فلو قام باحث بدراسة تطور النمو لدى عينة من الأطفال الصغار، فإنه يلاحظ بالإضافة إلى النمو الجسمى: النمو اللغوى، والنمو الانفعالى، وغير ذلك من أنماط النمو.

ـ للدراسات النمائية حدود زمنية فهى تجرى ضمن فترات زمنية قصيرة ولا تستمر طويلًا بالنظر إلى العلاقة بين عمر الباحث والعمر الذى يعيشه أفراد عينة البحث.

ـ للدراسات النمائية حدود عددية، فهى تجرى على عينة صغيرة نسبيًّا خاصة ما يتعلق منها بالدراسات النمائية الطولية، مقارنة بأساليب البحث الأخرى التى تختار عينات أكبر بكثير من عينات الدراسات النمائية.

ثانيًا: العيوب

ـ النقص الطبيعى المصاحب لدراسة الجزء الذى يأتى من عدم مشاركة بعض أفراد العينة ـ الذين شاركوا فى المرة الأولى ـ فى المرة الثانية إما لعدم الرغبة، أو لعوامل طارئة.

ـ صعوبة تحليل المعلومات فى دراسة الجزء وذلك بسبب ما يمكن أن يظهر من اختلافات فى إجابات العينة فى المرة الثانية عن المرة الأولى.

ـ يتطلب المسح الطولى وقتًا طويلًا وتكاليف باهظة.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن هذه البحوث فى مجال التربية تواجه مشكلات عديدة مرتبطة بالنظام المدرسى، نظرًا للتغيرات المستمرة التى تحدث للعملية التعليمية، من حيث ظروف التلاميذ، وتغيير أعضاء هيئة التدريس، والتجديدات فى طرق التدريس.... إلخ، لذا فمن المحتمل ألا تنتهى الدراسة حسب التخطيط الذى بدأت به.

ثامنًا: دراسة الحالة

مفهوم دراسة الحالة
أهمية دراسة الحالة
أهداف دراسة الحالة
خصائص دراسة الحالة
ظروف استخدام دراسة الحالة
طبيعة دراسة الحالة
استخدامات أسلوب دراسة الحالة
دراسة الحالات الفردية فى مجال علم النفس
خطوات دراسة الحالة
أدوات جمع المعلومات فى دراسة الحالة
إسهامات دراسة الحالة وحدودها
مميزات دراسة الحالة
عيوب دراسة الحالة

ثامنًا: دراسة الحالة

Case Study

مفهوم دراسة الحالة:

دراسة الحالة تقوم على أساس اختيار وحدة إدارية أو اجتماعية واحدة كأن تكون مدرسة أو مكتبة واحدة أو قسمًا واحدًا من أقسامها، أو فردًا واحدًا أو جماعة واحدة من الأشخاص وجمع المعلومات التفصيلية عن كل جوانب أنشطتها وصفاتها بشكل تفصيلي، وكذلك يمكن تعميم نتائجها على الحالات الأخرى المشابهة، شرط أن تكون الحالة ممثلة للمجتمع الذى يراد تعميم الحكم عليه، وبحيث تستخدم أدوات قياس موضوعية.

ومن الممكن أن تكون طريقة دراسة الحالة مفيدة وناجحة لمشكلة معينة أو موضوع معين، أكثر من أية طريقة أخرى. وقد تكون البيانات والمعلومات المجمعة عن هذه الطريقة لم يكن ممكننا الحصول عليها بأية طريقة أخرى من طرق البحث.

كذلك فإنه من الممكن استخدام طريقة دراسة الحالة كأساس لمزيد من البحوث.

ودراسة الحالة هى منهج فى البحث الاجتماعى يمكن عن طريقه جمع البيانات، ودراستها بحيث نستطيع أن نرسم من خلالها صورة كلية لوحدة معينة فى العلاقات والأوضاع الثقافية المتنوعة، كما تعتبر تحليلًا دقيقًا للموقف العام للفرد.

ودراسة الحالة نوعٌ من البحث المتعمق الذى يهتم بجميع الجوانب المتعلقة بشىء أو موقف واحد على أن يعتبر الفرد أو المنظمة أو المجتمع كوحدة للدراسة، ويقوم

هذا المنهج على التعمق فى دراسة المعلومات بمرحلة معينة أو جميع المراحل التى مرت بها تلك الوحدة. ومعنى ذلك أن الوحدة موضوع الدراسة قد يكون جزءًا من حالة فى إحدى الدراسات، ويمكن أن تكون هى نفسها حالة قائمة بذاتها فى دراسة أخرى.

ولقد ظهر التطبيق المبكر لدراسة الحالة فى الكتابات الوصفية التى تركها لنا المؤرخون القدامى عن الشخصيات والأمم. ومن الباحثين من يرى أن دراسة الحالة استخدمت فى البداية لعرض المبادئ والمعتقدات وتدعيمها أكثر من استخدامها لاستخلاص الفروض ولكى توضع بعد ذلك موضع التحقيق والاختبار.

ودراسة الحالة تشبه الدراسة المسحية إلا أنه يوجد اختلاف بينهما من حيث إنه فى الدراسة المسحية تجمع بيانات تتعلق بعوامل قليلة من عدد كبير من الأفراد، بينما فى دراسة الحالة يقوم الباحث بدارسة مستفيضة لعدد محدود من الحالات المختلفة، كما أن دراسة الحالة ذات طبيعة كيفية أكثر من الدراسة المسحية ونحصل عن طريقها على بيانات ومعلومات على درجة كبيرة من الأهمية والتى قد لا نستطيع التوصل إليه عن طريق الدراسات المسحية.

ولا بد لنا من التأكد على أربعة جوانب فى دراسة الحالة هى:

- أن دراسة الحالة هى إحدى الدراسات أو المناهج الوصفية.
- تستخدم لاختبار فرضية أو فرضيات.
- من الضرورى التأكيد على الحالة للحالات الأخرى المشابهة التى يفترض تعميم نتائجها عليها.
- التأكيد على الموضوعية، والابتعاد عن الذاتية، فى اختيار الحالة وفى جمع البيانات والمعلومات اللازمة، ومن ثم تحليلها وتفسيرها.

أهمية دراسة الحالة:

تنطلق أهمية دراسة الحالة من جوانب عدة، أهمها:

ـ تمكن الباحث من استيعاب الموضوع بشكل واضح (أكثر وضوحًا من المنهج المسحى) من خلال تناوله بشكل متكامل ومتعمق تتضح فيه كل الأسباب والمشكلات.

ـ تهتم دراسة الحالة فى إظهار الحالة المبحوثة فى زمنها الحالى، وكذلك التنبؤات المستقبلية لها.

ـ تركز على دراسة السلوك البشرى فى المؤسسة المعنية بالبحث، وتعمل على معالجة مشكلاته وتقويم انحرافاته، من خلال النتائج التى يتوصل إليها الباحث والتوصيات وتطبيق الإصلاحات التى يراها مطلوبة.

ـ تمكن الجهة المبحوثة، والأشخاص القائمين عليها من تجاوز القلق والمخاوف على مؤسستهم، من خلال تشخيص واستيعاب عناصر الضعف الموجودة، والمؤثرة على مسيرة العمل.

أهداف دراسة الحالة:

الباحث لا يهدف عادة من (دراسة الحالة) إلى الوصف الدقيق للشخص أو الجماعة المفحوصة ولكنه يهدف أيضًا إلى التعرف على الأسباب الرئيسيه التى أدت بالفرد أو الجماعة إلى وضعها الحاضر. وتعد مهمة الباحث فى طريقة (دراسة الحالة) هى دور التشخيص أكثر منه دور الإصلاح، ومن الممكن أن النتيجة الكاملة لدراسة الحالة يمكن أن تؤدى إلى الإصلاح أو العلاج.

وتهدف دراسة الحالة إلى إلقاء الضوء على العلميات والعوامل والمظاهر التى يقوم عليها نموذج الحالة سواء كان شخصًا أو أسرة أو جماعة. والتعرف على أبعاد مشكلة معينة بها من أجل تهيئة الظروف الملائمة لإجراء أكثر شمولًا على الحالة نفسها.

وهناك علاقة تكامل بين دراسة الحالة ومناهج وأساليب وأدوات البحث الأخرى ففى معظم البحوث الاجتماعية والنفسية والسياسية فإن المسح ودراسة الحالة يكملان بعضهما بعضًا، وهناك علاقة وثيقة بينهما. كما أن المتابعة الناجحة لتاريخ حياة أحد الأفراد أو عمليات تطوير إحدى الهيئات أو المجتمعات ـ تتطلب مصادر وقواعد البحث الوثائقى أو التاريخى..

كما يستخدم منهج دراسة الحالة وسائل جمع البيانات كالاستبيان وبطاقات العلامات Score Cards ومقاييس التدرج Rating Scales كما أن الملاحظة المباشرة ضرورية فى معظم الأحوال، وربما تخدم المقابلة Interview كوسيلة لملاحظة الأغراض والعلامات وتجميع البيانات والتشخيص والمعالجة والمتابعة. أما الأساليب الإحصائية فهى تستخدم عندما تكون الحالات مصنفة وملخصة لتكتشف عدد مرات تكرار حدوث الظاهرة فضلًا عن الاتجاهات ونماذج السلوك.

خصائص دراسة الحالة:

تتميز دراسة الحالة بالخصائص الرئيسيه التالية:

١ ـ تمثل دراسة الحالة نقطة البداية للاختبار الشخصى للفرد والتى يستخدمها المرشدون النفسيون عادة فى عملهم.

٢ ـ تساعد على فهم الفرد والتعرف على مشكلاته خاصة تلك التى ترتبط بتكيفه.

٣ ـ تساعد الفرد على فهمه نفسه وتحقيق ذاته.

٤ ـ تستخدم فى إعداد المرشد النفسى وتوجيهه مهنيًّا.

٥ ـ تركز على وحدة كلية لمعرفة خصائص الفرد وسماته.

٦ ـ تعتبر أسلوبًا تنظيميًّا للمعطيات الخاصة بوحدة مختارة كعينة للبحث.

٧ ـ البيانات والمعلومات التى تستقى من دراسة الحالة تشكل إطارًا جديدًا للبحث يقصد به التعميم والتوصل إلى نظريات وقوانين.

ظروف استخدام دراسة الحالة:

١ ـ عندما يرغب الباحث فى دراسة المواقف المختلفة دراسة تفصيلية فى مجالها الاجتماعى ومحيطها الثقافى بما تحتويه هذه الثقافة من قيم وعادات وتقاليد وآراء وأفكار وعقائد واتجاهات سائدة.

٢ ـ عندما يرغب الباحث فى دراسة التطوير التاريخى لشخصية ما أو ظاهرة أو مجال معين.

٣ ـ عندما يرغب الباحث فى التوصل إلى معرفة العوامل المتداخلة التى يمكن استخدامها فى وصف وتحليل العمليات الاجتماعية التى تقوم بين الأفراد نتيجة حدوث التفاعل بينهم كالتنافس والتعاون والتوافق.

طبيعة دراسات الحالة:

يدرس الأخصائيون الاجتماعيون والموجهون النفسيون عادة شخصية فرد ما، بقصد تشخيص حالة معينة وتقديم توصيات بالإجراءات العلاجية. ويقتصر اهتمامهم على الفرد من حيث إنه شخصية فريدة. ومن ناحية أخرى، فإن الباحثين أكثر ميلًا إلى أن يهتموا بالأفراد كأنماط ممثلة. فهم يجمعون بيانات عن أفراد اختيروا بعناية، وبقصد التوصل إلى فهم أكثر للجماعة التى يمثلونها.

وإذا كانت دراسات الحالة تحاول دائما النفاذ إلى الأعماق. إلا أنها قد تفحص دائرة الحياة الكلية لوحدة اجتماعة وقد تركز الانتباه على جانب معين منها. فقد يقتصر بحث على دراسة علاقات الأولاد مع أعضاء شلتهم، أو علاقات المدرسين مع مديريهم. ومن ناحية أخرى، إذا أراد باحث أن يحدد العوامل التى أسهمت فى سوء التوافق الاجتماعى لدى كبار المجرمين أو فى نجاح المدرسين، فغالبًا ما يبحث بعمق كل جانب من جوانب حياتهم كلها ـ طفولتهم، المنزل، المدرسة، العمل، الخبرات الاجتماعية، وكثيرًا من سماتهم السلوكية.

استخدامات أسلوب دراسة الحالة :

دراسة الحالة أسلوب شائع الاستخدام فى العيادات الطبية. فالطبيب يستطيع أن يكون معلوماته عن المريض لا بتشخيص الأعراض المرضية فحسب وإنما أيضًا بدراسة أمراضه السابقة والعمليات التى أجريت له مما يساعد على توضيح المشكلة التى يعانى منها المريض فى حاضره.

وبالمثل قد يرغب المعلمون أو المربون فى معرفة اتجاهات تلاميذهم وقدراتهم واهتماماتهم ليتفهموا مشكلاتهم الفردية. وفى البحث التربوى يتسع مفهوم دراسة الحالة ليشمل كل وصف أو تحليل تفصيلى لشخص واحد أو حدث واحد أو مؤسسة واحدة أو مجتمع واحد أو مجموعة واحدة. فالباحث قد يحلل مثلًا خدمات الإرشاد النفسى التى تقدم فى المدارس الثانوية أو دراسة اتجاهات مجموعة من التلاميذ من وضع اجتماعى أو طبقى معين فى المدرسة الابتدائية مثلًا غير أن دراسة الحالة فى العيادات الطبية يعود النفع أو الفائدة بصورة مباشرة على المريض وتكون دراسة الحالة عندئذ دراسة شخصية لا يمكن أن نصل منها إلى قواعد عامة تصدق على الآخرين. وهذا نوع من أنواع دراسة الحالة. هناك نوع آخر يتعلق بدراسة حالة وهى المجموعات أو المؤسسات أو التنظيمات الأكبر. وعندما تكون النتائج المستخلصة مرتبطة بمجموعة أكبر من الناس والأحداث والمؤسسات فإن نطاق الاستفادة منها يكون أوسع. والواقع أن كلا النوعين من دراسة الحالة مطلوب وهما يكمل بعضهما الآخر. "بياجيه" على سبيل المثال توصل إلى نظرية لنمو الطفل من ملاحظاته التفصيلية لمجموعة قليلة من الأطفال. وبهذا توصل من دراسة الحالات الفردية الشخصية إلى معرفة علمية أكثر شمولًا وتعميمًا.

وتركز هذه الطريقة الانتباه على حالة واحدة أو عدد محدود من الحالات، وهو اتجاه يهتم بفهم أهم معالم تاريخ نمو الفرد أو الجماعة أو المؤسسة. وفى مجالات الطب النفسى أو العمل الاجتماعى تستخدم دراسة الحالة أولًا فى الأغراض

التشخيصية، وتسجيل التغير فى الفرد فى أثناء بحثه عن حل مشكلته، ودراسات الحالة وسيلة للحصول على معلومات يمكن أن توجه الانتباه إلى ميدان يتطلب البحث أو يمكن أن تؤدى إلى كشف تعميمات جديدة، والمثال التقليدى لدراسة الحالة هو التقرير الذى كتبه "فرويد" عن حالة "دورا". وهى فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها كانت تعانى "الهيستيرا". وتضمنت المادة التى كتبها "فرويد" فى نحو ثلاثة أشهر من العلاج تقريرًا عن حلمين سجلت كلماتهما. وقد كتب تاريخ الحالة من الذاكرة عندما أوشك العلاج على النهاية، وعندما كانت الذاكرة ما زالت قوية. وإن الاعتماد على الذاكرة عند التسجيل بعد الحادث مباشرة يجعل المعلومات جديرة بالتصديق أى درجة عالية. وكان هدف فرويد من عرض هذه الحالة هو أن يبين كيف كان تفسير الحلم جزءًا لا يتجزأ من تاريخ العلاج، وكيف يمكن أن يساعد فى تفسير الأعراض المرضية. وكان فرويد مدركًا كل الإدراك لقصور التفسير الناتج عن تاريخ حالة واحدة. ودراسة حالة واحدة لا تقدم أكثر من لمحة عما تكون عليه المشكلة أو القضية وهذا فى حد ذاته مهم لأنه يؤدى إلى مزيد من البحث.

دراسة الحالة الفردية فى مجال علم النفس:

يسود دراسة الحالات الفردية اتجاهان رئيسان، أولهما يركز على ما تتميز به الحالة من خصائص وصفات ومميزات فردية، وثانيهما يركز على الصورة العامة للحالة من خلال وظيفة الفرد ووضعيته باعتباره جزءًا من كل وفى ضوء علاقاته المختلفة وتفاعلاته مع غيره فى المجتمع الذى يحيا فيه.

هذا ويطلق علماء النفس على الاتجاه الأول الاتجاه التحليلى وعلى الاتجاه الثانى الاتجاه التركيبى.

ولو أخذنا المثال لدراسة الحالات الفردية من واقع علم النفس وبالذات من التصور الذى قدمه "ريتشاردز Richards" عندما حدد المجالات المستهدفة من خلال دراسة الحالة من طرف الباحث النفسى فى النقاط الآتية:

١ ـ البيانات الأولية:

كالاسم والسن والجنس والدين والمسكن والحالة الاجتماعية... إلخ.

٢ ـ التاريخ التطورى لكل من الحالة وأسرتها:

ويضم كافة البيانات المتصلة بالوالدين وغيرهما من أفراد الأسرة وخاصة من أصيب منهم بأمراض نفسية ونوعيتها وما انتهت إليه، أما البيانات المتصلة بالفرد ـ كحالة ـ فتضم كل النواحى الجسمية والنفسية والبيئية والتعليمية والمهنية والجنسية والسلوكية وكذلك الأمراض العضوية التى تعرض لها الفرد ومدى ما خلفته من آثار.

خطوات دراسة الحالة:

على الرغم من خطوات إعداد البحث هى صالحة الاستخدام لكل مناهج البحث العلمى وأساليبه، إلا أنه يجرى التأكيد على بعض هذه الخطوات فى هذا المنهج أو ذاك وخطوات دراسة الحالة يمكن أن نوجزها بالآتى:

ـ تحديد الحالة أو المشكلة المراد دراستها.. وقد تكون الحالة فرد أو جماعة أو مؤسسة.

ـ جمع البيانات الأولية والضرورية لفهم الحالة أو المشكلة وتكون فكرة واضحة وكافية عنها، أى توسيع قاعدة المعرفة عن الحالة أو المشكلة المطلوب دراستها. ليكون الباحث قادرًا على فهمها، ووضع الفروض اللازمة.

ـ صياغة الفرضية، أو الفرضيات، التى تعطى التفسيرات المنطقية والمحتملة لمشكلة البحث ونشأتها وتطورها.

ـ جمع المعلومات.. ويتم جمع المعلومات بالأساليب والطرق الآتية:

١ ـ دراسة أقوال المفحوصين (أفراد الحالة) وتحليل هذه الأقوال.

٢ ـ تحليل الوثائق المتعلقة بالحالة مثل السجلات، المذكرات الشخصية والرسائل.

٣ ـ دراسة الجماعة المرجعية للحالة، فإذا كانت الجماعة فردًا لا بد من دراسة أسرة الفرد، وإذا كانت جماعة لا بد من دراسة المجتمع الذى تعيش فيه هذه الجماعة.

وخلاصة القول:

أنه فى دراسة الحالة يجب أن يصاغ تحليل الحالة فى إطار اجتماعى دقيق وتحدد طبيعة الحالة أبعاد الإطار، فقد تكون دراسات الحالة التى تقتصر على جزء منعزل من حياة الأفراد، مصطنعة وغير ذات معنى، لأنها قد لا تأتى بالبيانات اللازمة للنفاذ إلى علاقات ـ السبب ـ النتيجة. وذلك أن الأفراد يعملون داخل إطار اجتماعى متفاعل ديناميكى لا يمكن إغفاله. وعليه ينبغى أن تتضمن معلومات عامة عن الناس والجماعات والمواقف التى يتفاعل فيها الأشخاص الذين تجرى عليهم الأبحاث وطبيعة علاقاتهم معها، فالإنسان يتفاعل باستمرار مع عوامل بيئته الواسعة المتعددة ومن ثم فإن سلوكه لا يمكن فهمه دون تعمق فى دراسة هذه العلاقات. وهذا يعنى أن البيانات التى تجمع فى دراسة الحالة لا تقتصر على الحالة كما قد يوحى اسم الطريقة ولكنها تشمل مجاله السلوكى ككل.

ولكن كيف يستطيع الباحث أن يقرر أى الحالات يجب دراستها ويمكن اعتبارها نموذجية؟ فقد يخطئ الباحث عند اختياره للحالات التى يرغب فى دراستها وذلك باختيار حالات قد تبدو له غاية فى الأهمية والوضوح وعليه أن يتحاشى هذا الخطأ بأن يكون موضوعيًّا إلى أقصى حد. وذلك بالبحث بدقة وموضوعية عن الحالات الممثلة لغيرها. ويتطلب ذلك إجراء مسح إحصائى أولى، أو تعريف شامل عام كلما أمكن ذلك، قبل إجراء أى اختبار حالات البحث لا تأتى اعتباطًا أو عشوائيًّا بل تنبنى على أساس الفروض ونوع الموضوع الذى يرغب فى دراسته الباحث، بجانب معرفة واسعة لنوع المجتمع الذى ستؤخذ منه الحالات والعلاقات الاجتماعية به. ولا يغيب عن البال، مع ذلك كله، أن اختيار الحالات وتجميع البيانات سيخلو تمامًا من عنصر الذاتية وعنصر الحكم الشخصى. ويستلزم

ذلك يقظة من الباحث وبخاصة عند تحليل البيانات للوصول إلى النتائج. ومما لا شك فيه أن تطور وسائل دراسة الحالة وبخاصة القياسات المختلفة المقننة ستساعد على الإقلال من الذاتية والحكم الشخصى إلى أدنى مستوى.

أدوات جمع المعلومات فى دراسة الحالة:

ـ **الملاحظة المتعمقة:** حيث يحتاج إلى تواجده وبقناعة مع الحالة المعنية بالبحث، لأوقات كافية، وحسب ما تقتضيه ضرورة البحث، ومن ثم تسجيل ملاحظاته بشكل منظم، أولًا بأول.

ـ **المقابلة:** أى أن الباحث قد يحتاج إلى الحصول على معلوماته بشكل مباشر، من الحالات المبحوثة والمدروسة، وذلك بمقابلة الشخص، أو الأشخاص، الذين يمثلون وحدة الحالة، وجهًا لوجه، وتوجيه الاستفسارات لهم والحصول على الإجابات والمعلومات التفصيلية المطلوبة، وكذلك تسجيل الانطباعات الضرورية التى قد يتطلبها البحث.

ـ **الوثائق والسجلات المكتوبة:** سواء كانت سجلات رسمية، أو وثائق شخصية وإحصائية، تفيد الباحث وتعينه فى تسليط الأضواء على الحالة المبحوثة، وقد تكمل مثل هذه الوثائق المعلومات التى يحصل عليها الباحث فى مقابلاته.

ـ وقد يحتاج الباحث أساليب إضافية أخرى فى جمعه المعلومات عن الحالة المبحوثة، مثل الاستبيان وطلب الإجابة عن بعض الاستفسارات الواردة فيه من الأشخاص والفئات المحيطة بحالة البحث، أو المستفيدة منها ومن جهودها.

إسهامات دراسة الحالة وحدودها:

يمكن أن تقدم دراسات الحالة إسهامات مفيدة للبحث، إلا أنها لها حدود معينة ينبغى أن يدركها الباحث. فالطبيعة الاستكشافية العريضة لدراسة الحالة قد تعطى الباحث بصيرة تؤدى به إلى صياغة فروض نافعة؛ فإذا عرف الباحث أن حالة معينة

توجد فى مثال فريد فقد يوحى له هذا ببعض العوامل التى يجب أن يبحث عنها فى حالات أخرى. ولكن التعميم الذى يشتق من حالة واحدة، أو من حالات قليلة أختيرت بطريقة عريضة، لا يمكن تطبيقه على كل الحالات فى المجتمع الأصل. أما إذا استخلص التعميم من عدد كافٍ من الحالات الممثلة، فمن الممكن تطبيقه على ذلك المجتمع. وتكمن الصعوبة بطبيعة الحال فى انتقاء مفحوصين أو وحدات للدراسة تكون ممثلة أو نمطية. ومع أن الدليل المستمد من دراسة حالة واحدة لا يمكن تعميمه على الكل، فإن وجود دليل سلبى فى حالة واحدة سوف ينبه الباحث إلى أنه قد يضطر إلى تعديل فرضه. وبالإضافة إلى ذلك تظهر فائدة بيانات دراسات الحالة حين يحتاج الباحث إلى توضيح النتائج الإحصائية؛ ذلك لأن الأمثلة الملموسة المستمدة من الحالات الفردية يمكن أن تساعد القراء على فهم التعميمات الإحصائية بطريقة أفضل.

وتثار مشكلة الموضوعية أيضًا عندما يجرى تقويم لفائدة دراسات الحالة: **هل بيانات دراسة الحالة ذاتية إلى درجة تجعلها غير ذات قيمة علمية؟** إن بعض البيانات، مثل تلك التى تتعلق بالطول والوزن، موضوعية كتلك البيانات التى تجمع بواسطة طرق البحث الأخرى، ولكن عناصر الذاتية يمكن أن تدخل فى تقرير البحث، خاصة عند إصدار أحكام عن خلق المفحوص ودوافعه. ومن ثم، فإن الباحث ينبغى أن يحذر من السماح للانحيازات والمعايير والتعصبات الشخصية بأن تؤثر فى تفسيره. وينبغى أن تسجل الحقائق بدقة وموضوعية، كما ينبغى أن ترجأ الأحكام حتى تتجمع أدلة كافية لتأييد النتيجة. وحينما يقوم الباحث بجمع الأدلة من السجلات والوثائق والمقابلات والاستبيانات، ينبغى عليه أن يتخذ كل حيطة ممكنة لكى يكتشف ويتجنب تقبل البيانات التى تكون نتائج أخطاء الإدراك أو الذاكرة المضللة أو الخداع المقصود أو الانحياز اللاشعورى أو رغبة كاتب التقرير أو المفحوص فى أن يقدم الإجابة "الصحيحة"، والميل إلى أن يبالغ فى تأكيد الأحداث غير العادية أو أن يحرفها من أجل التأثير الدرامى.

وعلى العلوم فإن طريقة دراسة الحالة تقوم بإسهامات لا يمكن إغفالها. وعلى الرغم من قصورها فى بعض النواحى، وميلها إلى الذاتية ـ نوعا ما ـ إلا أنها تستطيع أن تقلل من الميل إلى سوء تفسير البيانات الإحصائية، وإعطاء حيوية للنتائج الكمية الجامدة، فغالبًا ما يمكن رؤية العلاقات بين العوامل المنفصلة عن بعضها بشكل أكثر وضوحًا من خلال إجراء دراسة مركزة للحالة بشكل يفوق رؤيتها من خلال تحليلات كمية مجردة.

وتجدر الإشارة إلى نقطة منهجية مهمة فى دراسات الحالات وهى التخبط عند تعميم النتائج التى قد تؤخذ من حالات قليلة لا يمكن قياس المجتمع الأصلى بها. وهذا يعنى أن عملية التعميم ترتبط ارتباطًا مباشرًا بمدى صحة العينة إحصائيًا ودقتها.

والحالات التى تختار بطريقة عرضية لا تعتبر صحيحة، ولذا فالنتائج التى يتم التوصل إليها من خلال تحليل هذه الحالات تقتصر فائدتها على توضيح بعض معالم ظاهرة أو المشكلة موضوع البحث، ولا ينبغى اعتبارها نتائج نهائية. أما إذا روعى فى اختيار المبحوثين الطريقة الإحصائية السليمة بحيث تكون العينة ممثلة تمثيلًا صحيحًا للمجتمع، ففى هذه الحالة يمكن تعميم النتائج التى يصل إليها الباحث، ولا يعنى ذلك التخلى عن دراسة حالات قليلة فإن وجود جانب سلبى فى حالات مفردة سوف يحول الباحث إلى الاحتمال الذى يساعده فى تعديل فرضه.

مميزات دراسة الحالة:

١ ـ أنها تعطى صورة كاملة للبيئة المدروسة قلما يعطيها أى أسلوب بحث آخر. وذلك نظرًا لأن إجراءه يتطلب وقتًا طويلًا ومعايشة فعلية لتلك البيئة.. حيث تتوفر لها معلومات تفصيلية وشاملة أكثر من المنهج المسحى.

٢ ـ يمكن التوصل إلى فروض علمية فى غاية الدقة، وكذلك إلى نتائج واقعية

قـد لا يتم التوصل إلى مثلها عنـد تطبـيق الأساليـب الأخـرى؛ وذلـك لأنها بنيـت على معلومات حقيقية غير متكلفة ومن خلال ملاحظة الوقائع كما تقع تمامًا.

٣ ـ الباحث فى هذه الدراسة لا ينظر لجانب دون غيره، أو يتأثر بغرض سابق فى ملاحظته، وإنما تتميز ملاحظته بالشمولية لكل جوانب السلوك.

٤ ـ تتيح دراسة الحالة تقديم دراسة متكاملة ومتعمقة للحالة حيث يركز الباحث على موضوع واحد فى دراسته. وبالتالى لا يتشتت جهده فى دراسة موضوعات متعددة فى آن واحد.

وبذلك تتيح البيانات الوافية والحقائق الشاملة التى يجمعها الباحث عن حالة واحدة فى المساعدة على بحث المشكلة بعمق تسهم فى معرفة الأسباب الأساسية للحالة.. فهى تتسم بالتعمق والشمولية.

٥ ـ الطبيعة الاستكشافية العريضة للحالة تعطى الباحث بصيرة وتؤدى به إلى صياغة الفروض النافعة.

٦ ـ يمكن أن تساعد المعلومات التى يجمعها الباحث فى دراسة حالة ما، فى فهم ودراسة حالات أخرى لها نفس الظروف.

٧ ـ قد لا تحتاج إلى جهد التنقل أو الانتظار الطويل كما هو الحال فى اختيار مجموعات أو عينات كبيرة أو مؤسسات.

عيوب دراسة الحالة:

بعض العيوب التى تصاحب التطبيق:

١ ـ التطبيق الصحيح: ويتطلب نوعًا خاصًا من الباحثين مؤهلين تأهيلًا عَالِيًا فى تطبيق الملاحظة بالمشاركة وكذلك يتصفون بصفات شخصية تمكنهم من التعامل مع الناس، وتجعلهم مقبولين لدى أفراد الحقل. وهذه الخصائص قد لا تتوافر فى كل باحث.

٢ ـ لا يمكن تطبيق دراسة الحالة تطبيقًا صحيحًا إلا بالمعايشة الفعلية لمجريات الوقائع والأحداث فى الحقل. وهذا لا يمكن تحقيقه فى وقت قصير. ولهذا فالوقت الطويل الذى يحتاج إليه الباحث لإجراء دراسة الحالة يعد من أهم العيوب.

٣ ـ الطبيعة الكيفية للمعلومات فى المذكرات اليومية الحقلية التى يتم جمعها بواسطة الملاحظة بالمشاركة تساهم فى صعوبة تحليلها وتفسيرها وقبل ذلك تفريغها إلى معلومات بحثية.

٤ ـ نظرًا لأن الملاحظة ـ بحكم طبيعتها ـ أداة غير موضوعية، وكذلك لا يمكن التأكد من صدق مفسرها (الباحث)، تعد إمكانية التحيز فى توضيح الحقائق وتفسيرها من أهم عيوب دراسة الحالة.

٥ ـ أيضًا نظرًا لأن الباحث ذا قدرة محدودة فهو لا يستطيع أن يرى كل شىء فى الحقل مما يضطره للاعتماد على ما رأى وتعميمه، أو تجاهل ما لم يرَ وهذا يساعد على عدم إعطاء صورة صادقة عن الواقع.

٦ ـ عندما ينظم الباحث للحقل قد يصبح ـ نتيجة لحرصه على المشاركة ـ عضوًا فعالًا فيه. مما يؤدى إلى تعارض دوره هذا مع دوره بصفته باحثًا.

ـ قد يشك فى صحة البيانات المجمعة، حيث إنه قد تعطى العينة المبحوثة وخاصة إذا كانت شخصًا أو أشخاصًا صورة واضحة تميل إلى إرضاء الباحث أو تذكر الحقائق من وجهة نظر الشخص المطلوب دراسته والتهويل لبعض الجوانب أو التقليل من أهمية بعض الأحداث تبعًا لنظرية أو سلوكياته، حيث يلجأ التركيز على الجوانب التى تهمه وتتطابق مع نظرته غافلًا أو متغافلًا الجوانب الأخرى التى تتناقض مع أدائه ومعتقداته.

ـ إن الحالة التى يتم اختيارها كعينة للدراسة قد لا تمثل المجتمع كله أو الحالات

الأخرى بكاملها. تقوم هذه الطريقة على دراسة حالة مفردة أو حالات قليلة وهو يكلف وقتًا وجهدًا.

لكن بمقارنة عيوب دراسة الحالة بمميزاتها، يمكن القول بأن دراسة الحالة يمكن تطبيقه على الوجه الأكمل عندما يتوافر لدى الباحث الوقت الكافى للقيام به. وهذا قد لا يتأتى فى البحوث ذات الأجل المحدود.

تاسعًا : دراسات الاتجاه

مفهوم دراسات الاتجاه

هدف دراسات الاتجاه

استخدامات دراسات الاتجاه

تاسعًا: دراسات الاتجاه

مفهوم دراسات الاتجاه:

ويطلق عليها "فان دالين" دراسات الاتجاه الغالبة، وتهدف هذه الدراسات إلى الحصول على بيانات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية وتحليلها بغرض تحديد الاتجاهات الغالبة للتنبؤ بما هو محتمل أن يحدث مستقبلًا.

وأن ذلك يتم من خلال قيام الباحثين بتكرار نفس دراسة الوضع الراهن لفترة تمتد عدة سنوات، كما قد يلجئون لجمع معلوماتهم من المصادر الوثائقية التى تصف الأحداث أو الظروف الحاضرة أو تلك التى حدثت فى فترات مختلفة فى الماضى.

ثم بعد ذلك يقوم الباحثون من خلال مقارنة تلك البيانات بدراسة معدل التغير واتجاهه حيث يمكنهم ذلك من التنبؤ بالظروف أو الأحداث التى يحتمل أن تبرز مستقبلًا.

ويقرر العلماء أن هذا النمط من الدراسات الوصفية قد يجمع بين أساليب البحث التاريخية والوثائقية والمسحية.

هذا وتفيد دراسة الاتجاه فى تقديم المعلومات اللازمة أمام مخططى السياسات الاجتماعية أو الصناعية أو التربوية لتكون تحت نظرهم قبل وضع مختلف السياسات فى شتى قطاعات المجتمع وأنشطته.

ولكن كثير من الباحثين يرون أن استنباط تنبؤات من البيانات المعتمدة على دراسة الاتجاهات يعد مغامرة خطرة، وذلك نظرًا للتغير المستمر فى الظروف

المجتمعية لا سيما ما تعلق منها بالتقدم التكنولوجى والحروب والمطالب الشخصية وغير ذلك من الأحداث غير المتوقعة وما ينتج عنها من تغيرات فجائية فى سياق الأحداث، لذلك يحذر هؤلاء الباحثون من الاعتماد على التنبؤات طويلة الأجل ويفضلون بدلا منها التنبؤات قصيرة الأجل لأنها عادة تكون على درجة أكبر من اليقين.

دراسات الاتجاه أو التنبؤ هى تطبيق مشوق للطريقة الوصفية. بمعنى أنها قائمة على اعتبارات طولية من البيانات المسجلة، المشيرة إلى ماذا كان يحدث فى الماضى، وماذا يكشف الوضع الحالى؟ وعلى أساس هذه البيانات ماذا يحتمل أن يحدث فى المستقبل.

ومن الدراسات التطورية أيضًا دراسات التوجهات (Trends)، وهى دراسات تتبعية تعتمد على تكرار دراسة مسحية تتعلق بطبيعة العرض والطلب فى بعض الوظائف، لتحديد الاتجاه الغالب والتنبؤ بما سيحدث فى المستقبل.

وهى جمع المعلومات والحصول على البيانات الاجتماعية والاقتصادية أو السياسية، فى أوقات مختلفة، وتحليلها لاستقراء التوجهات منها، والتنبؤ بما ينتظر حدوثه فى المستقبل، ويتم جمع المعلومات هذا بإجراء مسح اجتماعى أو اقتصادى أو سياسى أكثر من مرة فى أزمنة متفاوتة، أو بقراءة الوثائق التى تصف الظروف أو الحوادث الراهنة، وكذلك تلك التى تصف ظروف الماضى وحوادثه. وبعد مقارنة المعلومات التى ترجع إلى تواريخ مختلفة، ودراسة ما تعنيه من اتجاه للتغير وسرعته، يمكن التنبؤ بالأحوال والحوادث المختلفة فى تاريخ لاحق.

هدف دراسات الاتجاه:

تهدف هذه الدراسات إلى دراسة ظاهرة ما فى واقعها الحالى ومتابعة دراستها على مدى فترة زمنية قادمة (أو دراستها على مدى فترة زمنية سابقة) وذلك لمعرف اتجاهات تطور هذه الظاهرة من أجل التنبؤ بما يمكن أن يحدث لها فى المستقبل.

دراسة الاتجاهات تهدف إلى الحصول على بيانات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو سواها وتحليلها لتحديد الاتجاهات الغالبة والتنبؤ بما يحتمل حدوثه فى المستقبل القريب أو البعيد. ويقوم الباحثون المهتمون بالتعرف على الاتجاهات بدراسة معينة تتكرر سنوات عدة ويحددون الاتجاهات على أثرها أو يجمعون معلومات من المصادر الوثائقية التى تصف الأحدث الماضية والحاضرة، وبعد مقارنة بين البيانات واستقرار لها ودراسة معدل التغيرات واتجاهاتها يتنبئون بأحداث المستقبل. وواضح أن هذا النوع من الدراسة يجمع بين الطرق التاريخية ودراسة الوثائق والمسح وغيرها.

وتهدف بعض الدراسات الوصفية إلى الحصول على بيانات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية وتحليلها، لتحديد الاتجاهات الغالبة، والتنبؤ بما هو محتمل أن يحدث فى المستقبل. ويقوم الباحثون الذين يشتركون فى هذا العمل إما بتكرار نفس دراسة الوضع الراهن لفترة تمتد عدة سنوات، أو بجمع معلومات من المصادر الوثائقية التى تصف الأحداث أو الظروف الحاضرة وتلك التى حدثت فى فترة مختلفة فى الماضى.

استخدامات دراسات الاتجاه:

ويمكن استخدام هذه الدراسات فى التنبؤ بالتغيرات الاجتماعية المستقبلية، فالباحث الذى يدرس علاقة الآباء بالأبناء فى السنوات العشر الماضية يقدم صورة عن معدلات التغير فيها بما يساعده أن يرسم صورة مستقبلية لهذه العلاقة، كما يمكن استخدام هذه الدراسات فى التنبؤ بأعداد طلاب المدارس أو حاجات المجتمع إلى الطاقات البشرية فى المستقبل وفى ميادين أخرى اقتصادية وسياسية متعددة.

ويحذر أن التنبؤ فى المستقبل قد لا يكون سهلًا؛ لأن معدل التغير فى ظاهرة ما قد يتغير فى المستقبل ويكون أكثر سرعة أو يتأثر بعوامل أخرى تقلل من سرعته،

وبذلك قد لا يكون معدل التغير فى الماضى مماثلًا لمعدل التغير فى المستقبل، ولذلك ينظر إلى التنبؤات لا على أنها مسلمات وحقائق بل مؤشرات تساعد على فهم التطور المستقبل للظواهر المختلفة.

وتعتبر دراسة المسار، من الدراسات التنبؤية التى يمارسها المربون أو المخططون أو الديمغرافيون أو الباحثون الاجتماعيون.

ومن أمثلة ذلك ما يقوم به التربويون والإداريون والمسئولون عن وضع الخطط المستقبلية لنظام مدرسى أو تعليمى أو للمجتمع، أو للصناعة.

وتكمن خطورة استنباط التنبؤات من البيانات والمعلومات عن التوجهات الاجتماعية مغامرة خطرة، لأن الظروف الاقتصادية والتقدم التكنولوجى والصحى، والحروب والمطالب الشخصية، وغير ذلك من الأحداث غير المتوقعة قد تعدل فجأة من السياق المتوقع للأحداث، وهذا يؤثر على معدل التغير فى ظاهرة ما. فقد تكون السرعة أكبر أو أقل، أو يتأثر الموقف بعوامل أخرى تقلل من سرعته، وبذلك فقد لا يكون التغير فى الماضى مماثلًا لمعدل التغير فى المستقبل، ومثال ذلك: تنبؤات "مالثوس Malthus" بالتضخم السكانى وحدوث المجاعات، وعدم صحتها؛ لأنه لم يتوقع ما جاءت به الثورة الصناعية والزراعية فى العالم الجديد وزيادة الإنتاج وتطور طرق الزراعة واضمحلال عدد المواليد إبان سنوات الكساد.

وهناك تنبؤات سكانية حول الانفجار السكانى، وما سوف يجلبه من بؤس عالمى، كما أنهم يتنبئون أن الكليات فى الجامعة لن تستطيع استيعاب المتقدمين لها وغير ذلك مما يتوجب معه أن ننظر إلى التنبؤات على إنها مؤشرات تساعد على فهم التطور المستقبلى للظواهر المختلفة، وليس حقائق أو مسلمات، خاصة وأن تحليلات المسار تتفاوت كثيرًا فى مدى صدق تنبؤاتها بسبب العوامل الكثيرة غير المتوقعة التى قد تؤثر فى الظواهر الاجتماعية. وبصفة عامة تمثل التنبؤات طويلة الأجل مجرد تقديرات فى حين أن التنبؤات قصيرة الأجل تكون على درجة عالية من اليقين.

خاتمة:

بعد عرضنا للمنهج الوصفى وتصنيفاته بشىء من التفصيل نستطيع القول أن المنهج الوصفى هو محاولة الوصول إلى المعرفة الدقيقة والتفصيلية لعناصر مشكلة أو ظاهرة قائمة، للوصول على فهم أفضل وأدق أو وضع السياسات والإجراءات الخاصة بها. وعادة ما يلجأ الباحث إلى مثل هذه المنهج عند معرفته المستفيضة بجوانب وإبعاد الظاهرة موضع الدراسة. فمن خلال الدراسات السابقة حولها ينتاب الباحث فضول فى معرفة تفاصيل أكثر حول الظاهرة.

ويهدف المنهج الوصفى كما رأينا إلى توفير البيانات والحقائق عن المشكلة موضوع البحث وتفسيرها والوقوف على دلائها وهذا ما يميز المنهج الوصفى.

وقد رأينا أن الوصف المجرد لا يعطى الأسلوب الوصفى المعنى الكامل له. لأن ذلك لن يوصلنا إلى قانون علمى أو نظرية، إذ لا بد أن يتضمن الوصف تفسيرًا كى يستكمل معناه العملى ولكى يؤدى وظيفته العلمية.

يعتبر المنهج الوصفى بمثابة إطار عام تقع تحته العديد من الدراسات الأخرى، لتعدد أغراضه وأهدافه، فهو يصف الظاهرة، ويوضح العلاقات ومقدارها، كما يهدف إلى اكتشاف الأهداف الكامنة وراء سلوك معين من معطيات سابقة، ويمكن إجراؤه فى الحقل والميدان باستخدام الملاحظة المباشرة، والمعايشة الفعلية من قبل الباحث، أو بواسطة استجواب الباحث لمجتمع البحث أو لعينة ممثلة له، كما يمكن إجراؤه بالمكتب من خلال دراسة الوثائق دراسة كمية أو كيفية، ويجرى إما مرة واحدة أو أكثر من مرة، كما تتعدد مجالات تطبيقه لتشمل أشخاص، كتب، مبانى، حالات، وغيرها.

وقد عرضنا بشىء من التفصيل لأهم تصنيفاته وأساليبه وهى: المنهج والأسلوب المسحى، الوثائقى، الحقلى، تحليل المحتوى، السببى المقارن، الارتباطى، التتبعى، دراسة الحالة.